السنة السادسة　　العدد ١٤　　١٥ تموز سنة ١٩٠٣

المشرق

اكليل الغار

ان للغة العربيَّة في كليَّة القديس يوسف مكانًا رفيعًا ومنزلة عالية كما يتَّضح لكل من شاء ان يقف على ما بذلناهُ ولا نزال نبذلهُ من العناية والاهتمام في انجاح هذه اللغة الشريفة فان الرؤساء ما برحوا منذ نشأة الكليَّة ينتخبون افاضل المعلمين الذين لبعضهم شهرة وتآليف معروفة. وينتقون احسن الكتب التي تقرّب مجال فهم اللغة والاطلاع على اسرارها وخصائصها فضلًا عن حرصهم في كل وقتٍ على بيان فضائلها واهميتها للطلبة مرغبيهم في اتقانها والتبحُّر فيها وبين كل مدةٍ واخرى تجري تمرينات مختلفة باللغة المذكورة منها علنيَّة ومنها خصوصيَّة بها يتعود التلامذة فصاحة الكتابة والكلام في المواضيع المختلفة وهما امران يجعلان منهم رجالًا بلغاء يحسنون الدفاع بالحجَّة عن صوالح الدين والوطن. ولقد قاموا بحفلات ادبية وروايات تمثيليَّة عديدة كانت مدعاة لتهانئ وثناء العقلاء والكبراء الذين نسألهم في هذه الفرصة ان يتكرموا بقبول فائق شكرنا

ولقد رغب الينا الكثيرون ان يطّلعوا على كتابة التلامذة كما تصدر من اقلامهم فارضاء لرغبتهم انتخبنا من مسابقات الجوائز مسابقتين في صف الخطابة رأيناهما أفضل من غيرهما ومع اعترافنا بان سواهما ايضاً يستحق شرف النشر لم نشأ أن نتجاوز هذا الحدّ. والمسابقتان موضوعهما اكاليل النجاح وغار الظفر وهما للتلميذين الاديبين ميشال بيطار والياس كيورك ولما كان الفرق بينهما قليلاً جعلناهما في منزلة واحدة وسيقرأ ميشال بيطار خطابه في حفلة توزيع الجوائز وننشرهُ هنا تنشيطاً لهُ. واما خطاب الياس كيورك فسننشرهُ في العدد القادم من البشير

ثمّ أننا اخترنا من كتابات صفّي البيان والنحو كتابتين احداهما معرَّبة نثرًا وشعرًا عن قدّ (Sonnet) للشاعر الافرنسي جوزفين سولاري (Joséphin Soulary) بقلم الشاب الذكي يوسف السودا . والثانية قصيدة للطالب المهذَّب فكتور شبّيل موضوعها « وداع المرسل لامهِ » نظمها وقرأها في حفلة خصوصيَّة دبَّجتها أقلام التلامذة من اعضاء المحفلين العربيَّين جاعلين مدارها على حياة المكرَّم ابرهيم جرجس الاردني اليسوعي. فنغتنم هذه الفرصة لاهداء خالص تهانئنا للفائزين مع الثناء على اجتهادهم

ا. ر.

اكاليل الغار

للشاب الاديب ميشال بيطار تلميذ صفّ الخطابة

سادتي

لقد جمعنا اليوم هذا المحفل الحافل وكلنا وجوه ضاحكة وقلوبٌ بالمسرَّة خافقة. اجل اني ارى على وجوه الآباء والامهات ابتسامة منشأها فرح القلب فالعيون تبرقُ بهجةً والثغور تبتسم حبورًا فيا لهُ من بريق! ويا لها من ابتسامة!... أرى الوالدين منشرحات الصدور بفلاح ابنائهنَّ والوالدين يهزُّون مثلهنَّ طربًا لنجاح اولادهم... امَّا انتم أيُّها الرفقاء بل يا فئة الابطال الذين لم تكلُّوا في طلب المعالي طول هذه السنة فلكم مني السلام!

انا اخاكم جئتُ اليوم يوم مجازاة المنتصرين فوقفتُ بكم خطيبًا على مسامع اهاليكم الكرام المبتهجين بانتصاراتكم والمستبشرين بفوزكم. اعيروني سمعكم اخوتي فان الموضوع الذي سأتكلم عنهُ لاسيَّا في يومٍ كهذا لما ترقص لهُ القلوب فرحًا ألا وهو:

« اكاليلُ الغار »

ترون ايها الاحباب على هذه الدرجات ازاء الكتب الجميلة التي تسلب بحسنها الابصار اكاليل خضراء ضُفرت بورق الغار . فكلّ تلميذ أو بالحري كلّ بطل كان السابق في ميدان العلوم دنا من هذه الكتب النفيسة فأُعطي منها جائزته وذهب الى أمه او ابيه أو احد معارفه حتى يكلّلهُ بتاج النصر باكاليل الغار

لنتكلّم عن الغار ايها الرفقاء . لنتكلم عن الازهار فالغار جميلٌ والازهار جميلة لاسيما اليوم عندما أُخذت منها الاكاليل كي تزيّن جباه المنتصرين . — فاسمحوا لي اذن بالخوض هنيهةً في هذا الموضوع باحثاً عن كيفيّة استنبات الغار والازهار ودعوني اتطرق الى فائدتها وانواعها جاعلاً ذلك بمثابة امثولة نباتيّة شعريّة مازجاً تبعاً لنصيحة هوراس الشاعر « اللذيذ بالنافع »

١

« استنبات الغار والازهار »

يا راكب الخيل يا قاطعاً ارضَ البقاع وسهلها البديع قِفْ معي قليلاً رعاك العليُّ وأنظر . . . ألا ترى الارضَ تخدُّها سطور كأنَّ ولداً راكباً على جواده القصبيّ خطَّط التراب بسيره ؟ . . . — هو الفلّاح قد شقّ السبيل بسكته الحديديّة فجعل الارض على ما تراها وهي الآن مزروعة بذر غار وازهار . بذل الزرّاع في سبيل نجاحها كلّ عنايته فحوَّل اليها الجداولَ لسقيها وقلعَ الحشائش الرديّة النابتة فيها مع الزرع . . . أتت بعدئذٍ انداء السماء وحرارة الشمس فكمّلت صنيعَ الفلّاح . . انظروا الآن الى هذه الاوراق الخضرة والأغصان المتاويّة والازهار المتفتحة كيف ان النسيم يتلاعب بها ويعانقها ويثني قدودها . . . — هي اوراق الغار والازهار التي ترون مثلها ايها السادة في حدائقكم وجناتكم

امّا في حدائقنا وجناتنا . واريد طبعاً حدائقنا وجناتنا المدرسيّة . فهل نستنبتُ هكذا ورق الغار والازهار ؟ . . .

— كلّا ! تعرفون ان طرق الزراعة تختلف حسب الاصقاع وللآثار الجوّيّة مفاعيل جمّة في المزروعات . والظاهر ان الجوّ في صقعنا المدرسيّ له مفاعيل خصوصيّة لا توجد

في غيره. فدرستُ هذه المفاعيل على قدر الامكان وها كم نتيجة درسي بالاختصار ابينها لكم في كيفيَّة زرعنا للغار والازهار:

ان الارض التي نفلحها ما هي سوى ارض عقلنا. فكلّ يوم تمشي في هذه الارض سكّة تقتلع الاشواك والاعشاب المضرَّة وتفتح فيها اثلاماً حتى اذا اتينا المدرسة بذر الاستاذ في هذه الاثلام حبّاً وصار الينا من ثمَّ الاعتناء بهذا الحبّ. فكما أنّا فاحنا الارض نسقيها ايضاً بمياه المطالعة وإعمال الذاكرة والفهم وتأتي اخيراً اشعّة شمس المعلّم فتجعل لها اوراقاً وتنفتح لهذه الاوراق ازهاراً وتقرّ العينُ. عينُ المعلّم وعين التلميذ برأى هذه الازهار الزاهية

٢

« فائدة اوراق الغار والازهار »

ولكن يا هل تُرى أتقف ههنا فائدة هذه البذور ؟ — اذا نبتَ الورقُ وأخضر. اذا تفتّح الزهرُ وأحمرّ. سُلبت ابصارنا من هذا المشهد البديع. وسبحنا البارئ في خليقته... ولكن عندما نرى من الزهرة بُرعماً يبتدئ صغيراً مخضرّاً ويأخذ في الكبر يوماً فيوماً قلنا: هذا الثمر! وعلّلنا النفوس باقتطافه يوماً ما يا نعماً ايها الرفقاء.

اذا كانت اوراق الاشجار وازهار الحقل هي الكافلة بطلوع الثمر فلاوراق الغار ايضاً في المدارس ثمر وثمرها شهيّ... ثمرها يانع لذيذ يحلو في الفم وتنتعش به الصدور ... ثمرها له الالوان الزاهية الجميلة التي تخلب القلوب والابصار... ثمرها يهذّب الفهم وينميه ويوسع نطاقه ويزينه بحلى المعارف... ثمرها يثقف الارادة والطبع ويعلم الطالب كيف يكون رجلاً حازماً كافلاً بعمل الواجب... ثمرها اخيراً له تلك المادّة المغذّية ولكن مادته تغذي النفس لا الجسد بل ربّما أنحلت الجسد باغناء الروح. ولعمري ما يهمّ نحولُ الجسد ان كان للنفس غذاءٌ مقوّ ؟... أليس هذا النحول سبباً لمجدنا وافتخارنا ؟...

رُبَّ مهزولٍ سمينٌ عرضُهُ وسمين الجسمِ مهزولُ الحسَبْ

ولكني ماذا أقول ؟... لقد ارتجّ قلبُ الامّ الحنون على ولدها... لا تخافي يا سيدتي فعين الآباء ساهرة يقظة تمنع كلّ عمل يضرّ بصحة ابنك... أريحي فؤادكِ فولدكِ

يطلع من المدرســة (اذا اراد) متعلماً و . . . سميناً

٣

« انواع اكاليل الغار والازهار »

في الجنّات ايها الرفقاء الاحباء ما يخلب القلب والبصر من ورقٍ مخضر وزهر بديع وثمر يانع الى ما لا ينتهي من تعداده ،معدّد . . . قد طالما عاينتُ السيدة البيروتيّة تزيّن بهذه الازهار المختلفة غرف بيتها . امّا السيدة الدمشقيّة فتصرف كل عنايتهـا الى تنظيم هذه الازهار حول فسقية ماء صافٍ في صحن دارها . . . ومرجع الكلام الى ان الازهار اجناسٌ شتّى . ومعلومٌ انهُ اذا اختلفت الموادّ اختلفت ايضاً هيئاتها وتراكيبها فتتنوّع الاكاليل بوفرة اجناس الازهار

بناء عليهِ اقول : لسنا اقل حظّاً نحن طلبة المدارس فاكاليلنا أنواعٌ مختلفة لان الازهار التي منها تُضفَر مختلفة وكل هذه الازهار والاكاليل جميلة

جميــلٌ يا نائل جائزة الشرف اكليلك ولعمري انظر كيف يلمع ويُبهج العيون بحسنه وجماله ! . . .

جميلةٌ يا نائلي جوائز حسن السلوك والاجتهاد اكاليلكم . او لا تنظرون كيف العيون شاخصة اليكم . . .

جميلٌ يا نائل جائزة الخطابة اكليلك . أوَ تستقلّ ان تجعل القلوبَ والأسماع رهينةَ لكلامك ؟ . . .

ولكن لماذا اضيعُ الوقت سدًى بالتعداد ؟ . . . ان كانت الاكاليل جميلةً بالقول فلننظر جمالها بالفعل وهذا اولي :

إصعدْ ايها التلميذ المجتهد الى هنا . . . تعالَ يا أخي . تعالَ يا أيّها البطل الهمام لقد واصلتَ الجدّ وابديتِ الهمّة كل هذه السنة فحزتَ الفوز . . . تقدّم خذ جائزتك خُذ اكليلك واذهب الى امّك كي تضعهُ على رأسك

وانتِ يا امّهُ افرحي فولدكِ هو المنتصر على جميع اقرانه . . . فليكبر قلبكِ الوالدي وليفتخر بثمرة احشائك فانها ثمرة يانعة . . . ابكي فرحاً اذا شئتِ ايتها الوالدة الحنون . . . وانت يا اخي اذهب الى امّك كي تضع على راسك اكليل النصر .

عانقها ولتكن دمعة فرحها المتساقطة على خدّها لؤلؤة يتيمة لهذا الاكليل:
« اكليل الغار وآية الانتصار » (تمّت)

الموكبان

للشاب الذكي يوسف السودا تلميذ صف البيان

تصادف موكبانِ في الكنيسة: موكبٌ كئيبٌ آسفٌ يشيّعُ نعشَ ولدٍ قُطفَ في زهرةِ العمر والامُّ تتبعهُ مذعورةً فاقدة الشعور وتحاول عبثاً اخماد ما احتدمَ في صدرها من نار حزنٍ تهدُّ عزمها وتذيب جسمها

وموكبٌ فرحٌ متهللٌ: موكبُ عمادةٍ ترى فيهِ أمّاً على ذراعيها رضيعٌ يناغي بنغماتٍ متقطّعة وهي تُدلي اليهِ بثدي يمتصّهُ بشهوةٍ ولهفةٍ وتشملهُ بنظراتٍ تستعرُ حبّاً وعزّةً

وما عتّم ان تمّت الصلاةُ على الميتِ وانتهت حفلة العماد فارفضَّ الحفلانِ . وبينما الناسُ خارجون اذ تلاقت المرأتانِ في حنيَّة الكنيسة فتبادلتا لحظاتٍ لم تبقَ غيرَ قليلٍ

ويا لهُ من تحوّلٍ عجيبٍ أوحت بهِ اليهما الصلاة . فها انَّ امَّ المعمّد الفرحةَ المعتزَّة تبكي لرؤيتها تابوتَ الفقيد وامَّ المجنَّز المذعورةَ الثكلى تتبسّم لرؤية المولودِ الجديد
(ولقد هيّج في قلبي هذا المشهدُ عواملَ التأثّر فقلت :)

تأمل خليلي موكبَيْنِ فإنّما ... هما صورةُ الدنيا: بكاً وتبسُّمُ

*

فذا موكبٌ وافى يقلُّ جنازةً ... لطفلٍ بهِ حلَّ القضاء المصمِّمُ
تسيرُ وراءهُ أمُّهُ ودموعها ... تحرّقُ خدّيها بنارٍ تضرَّمُ
تحاولُ إطفاءً لنارٍ تسعّرت ... بصدرٍ بهِ اللّوعاتُ تكوي وتكلِمُ
تكادُ من التَّحْنانِ تفقدُ رشدها ... فمشهدُها قلبَ الجمادِ يؤلِّمُ

*

وذا الموكبُ الثاني يرومُ عمادةً ... لطفلٍ كزهرِ الوردِ في خدّهِ الدَّمُ
يناغي كزغلول الحمامِ بمشيهِ ... ومن حولهِ طيرُ الصفاءِ يرنّمُ

تقــدمُ ثديًا ناصعًا أمهُ لهُ   فيمتصُّ من ثديٍ اليهِ يُقدّمُ
وتشملهُ باللحظِ حُبًا وعزةً   وفي قلبها نصرٌ أعزُّ وأعظمُ

*

واذ رُشَّ فوقَ الميتِ ماءٌ مباركٌ   ورُشَّ على المعمود ماءٌ وبلسمُ
توارى كلا الحفلَين بالحزن والهنا   وكلٌّ لآياتِ القديرِ معظِّمُ
ولكنَّما الأمانِ حالًا تلاقتا   برشقِ لحاظٍ عن حُنوٍ تُترجمُ

*

فيا لانعكاسٍ للصلاةِ معادهُ   وسبحانَ مَن غورَ الضمائرِ يعلَمُ
فها انَّ أمَّ الحيِّ تبكي تأثرًا   لرؤيةِ مفقودٍ مضى يتنعَّمُ
وها انَّ أمَّ الميتِ من ذاب قلبُها   غدا ثغرها من رؤيةِ الطفل يبسمُ

وداع المرسل لأمهِ

للشاب الاديب فكتور شبلي تلميذ الصف الثالث

يا لها من ساعةٍ مرهوبةٍ   إن جرى ذكراها تجري دمعتي
يا إلهي أسهامُ اللّوعةِ   بفؤادي أم خمورُ الفرحةِ
ليتني ربّاهُ أدري دخلتي

. . . .

ليت شعري ما لأمٍ ذرفت   عينُها دمعًا سخينًا وشكت
ليت شعري ما لها قد اصبحت   في هزالٍ ومن الحزن اكتست
ثوبَ أسقامٍ دليل الحسرةِ
إبنها طفلًا غذتهُ باللبان   وهي تصبو نحوهُ في كل آنْ
ارضعتهُ الطهرَ من ثدي الحنانْ   ووقتهُ من تصاريف الزمانْ
فغدا بدرًا بهيَّ الطلعةِ
أنَّا رامَ ذهابًا لا معاذْ   بعدهُ فهي بسقمٍ وسُهادْ
ودموع الحزن من هول البعادْ   وحنين الأمِّ من حرِّ الفؤادْ

تشتكي جور الأسى بالوحشة

دمعها بلَّ الثرى وهي تصيح واحبيبي فارحمنْ قلبي الجريحْ
لا تغادرني بآلام المسيحْ تاركًا من بعدك الجفنَ قريحْ
يا إلهي ان هذي بلوتي

أعرضَ الشهمُ ونادى شاديا كفكفي أماهُ دمعًا داميا
انَّ قلبي لالهي لا ليا فأرفعي أماهُ طرفًا ساميا
امرُ ربّي لستُ اعصى دعوتي

انَّ ربّي قد دعاني السَّما وأراني في طريقي السُّلَّما
فتركتُ الارض مع اهل الحمى طالبًا إرضاء ربٍّ أعظما
فتعزّي دائمًا عن فرقتي

أنّاكِ ان ترغبي في طلبي فالى العذراء دومًا أطلبي
أن ترَيني ثابتًا في الكُرَبِ سافكًا دمي وهذا مأربي
ميتةُ الشُهَدِ أحلى ميتةِ

قبلةً أماهُ منكِ زوّدي قلبَ مُجلٍ ذابَ من ذا الكمدِ
فوداعًا من صميم الكبدِ غيرَ أنَّا سوفَ نلتقي في غدِ
من يد الرحمانِ فيضَ الرحمةِ

. . . .

ودَّعَ الأمَّ وولَّى في كَدَرْ يذرف الدمعَ على ذاك الأثرْ
لكنِ القلبُ على الهجر صَبَرْ وعلى صرف الليالي والقدرْ
لابسًا درع الرجا والنعمةِ

ودَّعَ الأهلَ وخلَّى الوطنا راضيًا كلَّ شقاء وعنا
بصليب الله يرضى كفنا بل عذابًا ومماتًا وفنا
موقنًا بالله ربِّ القوَّةِ

ليس يخشى قلبُهُ وقع السهام وهو يشدو عذّبوني بالحسامْ
انَّ ربّي مبدعي باري الأنامْ قبلنا قد ذاق كاسات الحِمامْ
بثباتٍ فاقَ كلَّ القدرةِ

إنهُ مُقتحمٌ كلَّ عذابٍ كاشفٌ عن اعينِ الجهلِ النقابْ
وغدًا في موقفِ الحشرِ المهابِ سيُجازى كلَّ باغٍ بالعقابْ
ويجازى مُرسِلٌ بالنصرةِ

يا رسولَ اللهِ سرْ مبتهلَا ودَعِ الجاهلَ إذْ قد عَذَلَا
سوفَ تلقى في السماء البَدَلَا من سُعادٍ ذقتَهُ بينَ الملا
فتعيشَ الدهرَ عيشَ الغبطةِ

ميمر في صحة الدين المسيحي

للاب الفاضل والفيلسوف الكامل ثاودورس ابي قرّة اسقف حرّان

عُني بنشرهِ حضرة الاب الخوري قسطنطين باشا الراهب الباسيلي الحلبي

توطئة

* تعريف المؤلف * انَّ لثاودوروس ابي قرة (ويروى ابو قارة) مقاماً رفيعاً بين اللاهوتيين فيعتبرونهُ كاعظم الكتبة الكنسيين وابرعهم في المصنَّفات الجدلية والابحاث الدينية بحيث تراهم يتخذونهُ كحجَّةٍ في تفنيد مزاعم المبتدعين. ومع ما لهذا الكاتب من رفيع الشان لا نكاد نعرف شيئاً من ترجمتهِ والمرجَّح انهُ عاش في اواخر القرن الثامن للمسيح وفي اوائل التاسع والمرجَّح انهُ عرف القديس يوحنَّا الدمشقيّ وما لا ريب فيهِ انَّ ثاودوروس تأثَّر اعقاب ذاك القديس العظيم والكاتب البارع وجاراهُ في محاربة البدع كالنسطورية واليعقوبية والمنوثليتيَّة يردُّ عليها بالبراهين العقليَّة والادلَّة الوضعية وربَّما جمل تفنيدهُ على طريقة المباحثة بين الارثذكيّ والمبتدع فيكون الجواب ارسخ في عقول المؤمنين. ويؤيد قولنا في زمن ابي قرَّة انهُ املى بعض مقالاتهِ على توما اسقف اورشليم الذي عاش في اواخر القرن الثامن وكان جالساً على كرسيّ اورشليم سنة ٨٠٧. وعمَّر ابو قرَّة الى عهد المأمون الذي تولّى الامر من سنة ٨١٣ الى ٨٣٣ مسيحيَّة والدليل على ذلك ان في مكتبة باريس وغيرها نسخاً من جدال دينيّ جرى لهُ في حضرة المأمون

ومما يستفاد من مقدَّمة كتاباتهِ انهُ كان اسقفاً على حرَّان المدينة الشهيرة المجاورة للرُّها. وقد نكر البعض ذلك وقالوا انهُ كان اسقفاً على «قارة» وهي مدينة في فلسطين في عبر الاردن وقيل انَّ قارة هذه هي المدينة التي في حدود حمص ودمشق. والله اعلم

ومن الاوهام الشائعة في حقّ ثاودوروس ابي قرة انهُ كان اسقفاً على بلاد كارية من اعمال ثراقية. والصواب انَّ ثاودوروس اسقف كارية كان بعد ثاودوروس ابي قرة بنحو مئة سنة وعاش على عهد فوطيوس بطريرك القسطنطينيَّة وناقضهُ في عصيانه على الكرسيّ الرسوليّ

امَّا تآليف ثاودوروس ابي قرة المعروفة سابقاً فعبارة عن ٤٣ مقالة بين قصيرة ومطوَّلة أُدرجت في اعمال الاباء اليونان لمين في المجلَّد الـ ٩٧ من الصفحة ١٤٦١ الى ١٦١٠ واوَّل من نشر هذه الآثار الجليلة الاب اليسوعي الشهير يعقوب غرتسار وترجمها الى اللاتينية الابوان توريانوس اليسوعي وجِنبرَرد البندكتيّ

ولم يتفق الكتبة على اللغة التي صنَّف بها ثاودوروس ابو قرة تآليفهُ أهي اليونانية ام العربية. والراي الارجح انهُ كتب في العربية والسريانيَّة ثم نُقلت مصنَّفاتهُ الى اليونانية كما يظهر من مقدَّمة مقالتهِ الرابعة وفيها يقال انَّ ثاودوروس أملاها بالعربية على توما اسقف اورشليم (ἀπαγορευθεῖσα Ἀραβιστί) ثم نقلها الى اليونانية ميخائيل الكاهن سنكلُّوس اي قيّم كنيسة اورشليم. وعليهِ فتكون كتابات ثاودوروس من اقدم آثار النصرانيَّة في اللغة العربية. امَّا كونهُ كتب في السريانيَّة فقد بيَّنهُ في احدى مقالاتهِ غير المطبوعة

وقد قابلنا المقالة التي باشر حضرة الاب الخوري قسطنطين باشا نشرها في المشرق لعلَّنا نجد لها اثرًا بين اعمال ثاودوروس باليونانية فلم نعثر على شيء منها. فتزيد بذلك قيمتها لدى العلماء. ولعلَّ النسخة التي وصفها حضرة الاب هي المنقولة عن النسخة الاصليَّة التي ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقية (المجلَّد الثاني ص ٢٩٢ في الحاشية) وقال انهُ اطلع عليها في صيداء السيّد افتيميوس الصيفيّ اسقف الروم الملكيين الشهير ل. ش

✻ تعريف الكتاب وناسخه ✻ هذا الميمر من كتاب مخطوط وجدتهُ في مكتبة دير المخلص وقد علَّق عليهِ ناسخهُ قبل هذا الميمر ما حرفهُ: « حاشية لكاتبه المطران باسيليوس. اعلم ان هذه نسخة ثانية من النسخة التي في دير مار سابا السيق بقرب اورشليم التي هي النسخة الاصلية للكتاب التي كُتبت عليها هذه النسخة ». ثم: « وكان كتابته في شهر حزيران سنة ١٧٣٥ وذلك في دير المخلص من معاملة صيدا في جبل الدروز »

وجاء في آخر الكتاب: « وكان النجاز من ناسخة هذه الميامر نهار الاثنين الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٧٣٥ لتجسد المسيح ربنا ». ثم: « كُتب بيد الحقير المطران باسيليوس فينان عن كتاب نُسختهُ قديمة منسوخة عن النسخة الاصلية التي في دير مار سابا السيق بعاملة القدس الشريف. ولذلك لمَّا وجدنا فيهِ بعض كلمات ممحيَّة من عتقهِ ابقينا موضعها بياضاً لعلنا نجد لهُ نسخة صحيحة كاملة فنكتب ما نقص وبالله التوفيق. وايضاً تاريخ النسخة التي نقلنا عنها هذا الكتاب سنة ٦٥٥٩ لابينا آدم (١٠٥١ للمسيح) وهو تعليق الراهب اغابي في دير مار الياس في جبل اللكام فيكون لها يوم نسخنا هذا الكتاب عنها ٦٨٤ » ومن ثم يُعرف قدر هذا الكتاب وانهُ من الكتب القديمة العهد النادرة بالعربية بل من اقدمها عهدًا عند كتَّاب النصارى وخصوصاً الملكيين منهم. واهمُّ من ذلك عدم تداولهِ بايدي النسَّاخ وسلامته من التحريف ولا حاجة الى التنبيه الى قوة براهينه اللاهوتية ورشاقة اساليبه العربية ومتانة تراكيبه مع الشواهد

الصريحة على رئاسة بطرس الرسول وخلفائهِ الاحبار الرومانيين . والكتاب المذكور جمع تسع مقالات طويلة « يدعوها » ميامر والميمر لفظة سريانيَّة (ܡܐܡܪܐ) ومناها الكلام والرسالة المطوَّلة

(الاوَّل) يحقق للانسان ارادة حرَّة ثابتة من الله في خليقته وان حرية الانسان لا يدخل عليها القهر من وجهٍ من الوجوه البتة

(الثاني) يحقق انهُ لا يلزم النصارى ان يقولوا ثلاثة آلهة اذ يقولون الاب اله والابن اله وروح القدس اله وان الاب والابن وروح القدس اله واحد ولو كان كلُّ واحد منهم تامًّا على حدتهِ

(الثالث) في موت المسيح . وانَّا اذا قلنا ان المسيح مات عنَّا انما نقول ان الابن الازلي المولود من الاب قبل الدهور هو الذي مات عنَّا لا في طبيعته الالهية بل في طبيعته الانسانيَّة . وكيف يقبل هذا الموت . وانهُ يحسن ان يقال على الابن الازلي في الجهة التي تقوله عليهِ الارثوذكسية

(الرابع) في تحقيق الانجيل وان كلّا لا يحققهُ الانجيل فهو باطل

(الخامس) على سبيل معرفة الله وتحقيق الابن الازلي

(السادس) في انهُ لا يُغفر لاحد خطية الَّا باوجاع المسيح التي حلَّت بهِ في شان الناس . وان من لا يؤمن بهذه الاوجاع ويقرّبها للاب عن ذنوبه فلا مغفرة لهُ ابدًا

(السابع) في الردّ على من ينكر لله التجسد والحلول فيما احب ان يحل فيهِ . (وهو متقطع لنقص النسخة الاصلية التي اكلها العث لقدم عهدها كما اشار الناسخ)

(الثامن) يحقق ان لله ابنًا هو عِدْلُهُ في الجوهر ولم يزل معهُ

وبعد هذا رسالة مطوَّلة وهي « جواب مسألة كتبها الى صديق لهُ كان يعقوبيًّا فصار ارثوذكسيًّا عند رده عليهِ الجواب » ثم يلي هذا الميمر الذي نحن على وشك نشرهِ وهو الاخير

وقد وجدت نسخة من المحاورة التي جرت بحضرة المأمون بين ابي قرة وبعض العلماء من العراق والشام لكنها ناقصة من اولها وفيها اغلاط كثيرة ادخلها النساخ لكثرة تداول الايدي بها . وفي مكتبة باريس يوجد منها اكثر من نسخة

كذلك وجدت نسخة من الميمر الثالث في مجموعة قديمة العهد ترتقي الى القرن الخامس والعشر في مكتبة دير المخلص لكنهُ ناقص من اولهِ اشار اليهِ جامعه بقوله : « . . . . من قول ثاودورس اسقف حران المعروف بابي قارة » ثم وجدت في مجموعة للمطران افتيميوس الصيفي كتبها بخط يده المباركة يدعو بها الاساقفة الشرقيين الى الاتحاد بايمان واحد وترك الانشقاق والانقسام قسمًا كبيرًا من هذا الميمر نفسهِ يستشهد بهِ على عدم صحة دعوى الذين ينتحلون النصرانية ظاهرًا وهم لا يدينون باطنًا بحقيقة دين المسيح ويخالفون الملكيدونيين اي الملكيين

واما الناسخ فقد وجدت عنهُ في سجل رهبانيتنا الباسيلية المخلصية في كلامه على تلاميذ المطران افتيميوس الصيفي الذي انشأ ديرنا ورهبانيتنا ما يأتي : « الثاني والعشرون الخوري ميخائيل فينان من يافا . نذر الرهبنة وارتسم كاهنًا من يد سلفهِ المطران المذكور سنة ١٧١٧ ثم ارتسم مطرانًا على كرسي بانياس من يد ابرهيم وَرْتبت بطرك الارمن الكاثوليك والمطران الياس الماروني والمطران نعمة اسقف بيروت

الروم (١ بأمر الامير حيدر شهاب ودعي باسيليوس وذلك اوّل سنة ١٧٢٤ وتسلم رعية الجبل (لبنان) وبر صيدا عدا المدينة لانها بقيت الى المطران اغناطيوس المرتسم من البطريرك اثناسيوس المشاق. واذ شكك المطران باسيليوس في رسامته فيما بعد عرض ذلك الى رومية فاتاه الجواب بصحة واجازة رسامته مع البركة. وخدم الرعية بكل حرية وكان رجلًا شهمًا بطلًا وماهرًا في صناعة الموسيقا اليونانية اي البسلطيكا. وربّى ثلاثة تلاميذ ماهرين بها وهم القس يواكيم ربع مدّ من قرية برثه والقس نعمة فرحات منها والقس يوسف فرحات من مزرعة دير المخلص (وهذا الذي رسمهُ اسقفًا على زحلة البطريرك ثاوضوسيوس الدهان في ٢٩ ت ٢ سنة ١٧٧٣) وتوفي في دير المخلص ودفن في هيكل القديس انطونيوس البدواني امام المذبح تحت الدرجة التي يقف عليها الكاهن وقت القداس في ١٣ شباط سنة ١٧٧٢

ويؤخذ منهُ في غير هذا المحل انهُ كان من الاساقفة الوطنيين الذين انتخبوا للبطريركية الانطاكية القس سرافيم طاناس (٢ ورسموه في دمشق في الكنيسة المريمية في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ قبل ان رسم البطريرك القسطنطيني في ٢٨ في القسطنطينية الشماس سلفستروس القبرصي الاجنبي وارسلهُ الى دمشق بطريركًا بل قل اجيرًا ودخيلًا وكان مقيمًا في دير المخلص مؤازرًا للبطريرك المذكور. وكان هو الراسم للرهبان. وكان في عداد الاساقفة في مجمع دير المخلص الاول الذي عقدهُ البطريرك المذكور في اتحاد الرهبانية المخلصية والشويرية سنة ١٧٣١ وكان كذلك في المجمع الثاني الذي عقدهُ البطريرك المذكور سنة ١٧٥١ ق ب

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد

ميمر في تحقيق ناموس موسى المقدس والانبياء الذين تنبأوا على المسيح والانجيل الطاهر الذي نقلهُ الى الامم تلاميذ المسيح المولود من مريم العذراء وتحقيق الارثوذكسية التي ينسبها الناس الى الخلكيدونية وإبطال كل ملة تنتحل النصرانية سوى هذه الملة وضعهُ المعلّم العامل والفيلسوف الكامل والاب الفاضل كير ثاودوروس اسقف حرّان

١

ان الله تراآى لموسى في طور سينا (سفر الخروج ف ٢ و ٣) فانتخبهُ ان يشترع دينًا لبني اسرائيل وامرهُ ان يشخص الى فرعون مالك مصر وان ينقذهم من

١) وسبب ذلك انَّ البطريرك اثناسيوس الدباس الذي كان قد رجع في ذلك العهد من القسطنطينية عن معتقدهِ الكاثوليكي الذي كان قد اعلنهُ مرارًا لم يقبل منهُ الرسامة وفضل عليهِ الاساقفة المذكورين من الطوائف والطقوس المختلفة مما جعلهُ بعد ذلك في شك من رسامتهِ

٢) من هنا يُعلم ان سرافيم طاناس كان قسًا لما انتُخب للبطريركية لا مطرانًا كما روى ذلك القس مخائيل بريك في حكاية خرافيَّة عن رسامته مطرانًا لقيسارية الكبادوك

يديه وان موسى استعفى الله من البعثة متعللًا وتأتّى عليه الخوف استعظامًا للامر الذي اراد افرادَهُ لهُ · وقال لله: مَن انا حتى آتي فرعون واخلص امّتك من يديه · فقال لهُ الله: انا اساعدك واشدّد كلامك · ولكن انطلق حتى تجمع مشيخة بني اسرائيل فتقول لهم: انَّ الرب اله ابائكم ارسلني · اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب بعثني اليكم · فقال موسى: لو قد اتيتُ بني اسرائيل فقلتُ لهم انَّ اله ابائكم ارسلني اليكم فقالوا لي ما اسمهُ ماذا اقول لهم ؟ فقال لهُ الله: قل لهم الذي لم يزل بعثني اليكم · وقال الله: انا الذي لم ازل وانا اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب · ثم قال موسى لله: عُدَّ اني اتيتُهم فانبأتهم بهذا القول عنك فانهم يقولون لي انك مُبطل لم يترآى (كذا) الله لك فماذا اقول لهم ؟ حينئذٍ قال لهُ: ايُّ شيءٍ هذا الذي بيدك ؟ · فقال لهُ موسى: عصًا · فقال الله لهُ: ارمِ بها على الارض فرمى بها على الارض فتحوَّلت ثعبانًا فراعت موسى وجعل يفرّ منها · فقال الله لهُ: تناولهُ بذنبه · فتناولهُ بالذنب فعاد الثعبان عصًا · ثم قال لهُ الله: أَدخل يدك في رُدنك · فأدخلها فاذا هي قد برصت برصًا يَقَقًا ناصعًا كالثلج · فقال لهُ الله: أعِدها الى ردنك · فردَّها ثم اخرجها فاذا هي قد رجعت الى لون بَشرته · وقال لهُ الله: ان آمن بنو اسرائيل بالآية الاولى كان به والَّا آمنوا بالآية الثانية وان لم يؤمنوا بالآية الثانية فانشف من ماء النهر(١ وأهرقهُ على الارض فانهُ سيتحوَّل دمًا ليؤمنوا ان الله اله ابائهم بعثك اليهم · فلمَّا اعطاه قوَّة الاعاجيب رضي بالعسر ان ينبعث الى مصر

فمن هنا يستدلُّ أولو الالباب ان الدين لا ينبغي لمن كان محتاطًا في النظر فيه ان يتقبلهُ من واضعه الَّا بالاعاجيب لان موسى قد كان يعلم انهُ لو ذهب يدَّعي ان الله بعثهُ ليشترع دينًا بلا برهان يأتي به على نفسه من اعاجيب يعملها لا يقدر احد ان يعمل مثلها الَّا مَن أيده الله قد كان سبيل لكل ذي عقل ان يزبره (٢ وان يردَّ عليه قوله ويحقره ويصدّ عنهُ · لكنَّهُ علم انهُ اذا كان مُدلّى بقوَّة الاعاجيب فقد اتخذ اداة قويَّة يرمي بها من كان ذا نية يرتاد لنفسه خيرًا ويقوده الى الدخول فيما يضع لهُ من عبادة الله · وكذلك ينبغي لكل ذي لبّ الَّا يقبل دينًا ليس اساسهُ على الاعاجيب الالهية التي هي برهان على تحقيق الآتي به انهُ من الله · فمن قبل الدين على غير هذا

١) نشف الماء من الغدير استقاه ُ
٢) زبرهُ بالقائمة انتهرهُ · و « قد » رابطة جواب لو · وهي كثيرة في كلامه

الاساس فقد فرَّط وترك الحزم في الامر الذي لم يُخلق الحزم في الانسان الّا له وبذل نفسهُ للتلف واسترخى لمن يجتذبهُ الى الهلاك ويختلجهُ عن السبيل المؤدي الى السعادة التي اليها وحدها تتوق العقول

فمن قبل الدين الذي اتى به موسى فقد رُشد لانَّ موسى انَّما حقَّق نبوتهُ ورسالتهُ من الله بعمل الاعاجيب التي لا تُصنع الّا بقوَّة الله. وحيث اتى الذين قبلوه بالغيب وقصَّ عليهم كيف خلق الله السماء والارض وانبأهم بما كان قبلهم ممَّا لم تكن تدركهُ عقولهم فقد احسنوا حيث الزموا نفوسهم القنوع به وتصديقهُ. لانَّ الله لن يقوّي على عمل الاعاجيب الّا من كان ساعيًا في موافقته ويدعو الى رشده وهداه

وكذلك المسيح الهنا الحكمة الحقّ لم يبدأ بشيء من التعليم حتى اظهر قوَّتهُ الالهية بالاعاجيب وقرَّب اليه من كان مبتلى في انواع الاسقام والامراض المزلة المعذّبة فشفاهم واسعدهم بالبرء الكامل. فلمَّا كان ذلك منهُ دنت اليه الجموع من الجليل واورشليم وكُوَر الاردن. فلما رأى الجموع حولهُ دعا تلاميذه اليه ففتح فاه وعلّمهم وقال: طوبى للمساكين بالروح فان ملكوت السماء لهم. ثم تلا عليهم تعليمهُ واشترع لهم ناموسه الاول فاول. واخذ بشكل موسى. ولم يزل يخلط عجبًا بناموس وناموسًا بعجب حتى قضى تدبيره كلهُ وصُلب ودُفن وقام لليوم الثالث. فمن اتبع المسيح لعجائبه التي لا تحصى فقد رُشد وقويت حجَّتهُ كما قويت حجة الذين قبلوا موسى إمَّا عمل من الاعاجيب

واذا قرنت الامرين كان هذا الآخر اقوى من الاول. وان كان كلاهما قويين لان اعاجيب المسيح لا تحصى ولا تُعدّ ولم يقتصر على ما هو عمل من الاعاجيب مباشرةً بل اعطى تلاميذهُ سلطانًا ان يعملوها باسمه. فامَّا موسى فانهُ عمل اعاجيب معدودة وكان يعملها لا بقوَّة نفسه ولكن بقوَّة الله وامره او بالابتهال لهُ ولم يدعُ موسى احدًا قط فقال لهُ: انطلق فاعمل الاعاجيب باسمي. وبحقّ كان كل ما قد كان من المسيح ومن موسى وذلك ان المسيح إلهٌ وابن إله وكان قادرًا ان يعمل بقوة نفسه الاعاجيب وان يقوّي من احب على ان يعمل مثلها باسمه. فامَّا موسى فانما كان عبدًا مأمورًا وكانت قوته على عمل الاعاجيب ليست لنفسه وانما كانت لله. فلذلك لم يكن يعمل عجبًا حتى يُوعَز اليه من الله ان يعملهُ او يبتهل اليه فيأذن لهُ في عمله. وكما ان

موسى كان يعمل الاعاجيب بقوة الله وامره والابتهال اليهِ كذلك كان تلاميذ المسيح يعملون الاعاجيب لا باسم الله لكن باسم المسيح وقوّتهِ وامرهِ والابتهال اليهِ . والتلاميذ في عمل الاعاجيب اقوى من موسى كثيرًا لانَّ موسى انَّما كان يوعز اليهِ او يبتهل قبل ان يعمل العجب امَّا التلاميذ فان اكثر اعاجيبهم كانت بلا تضرُّع . ولم يكن اكثر من ان يقولوا «باسم المسيح ليقُم هذا الميت» او « لينفتح هذا الاعمى عينيهِ » او « ليصحَّ هذا المقعد » فكان يكون كما يقولون . ولم يقفوا عند ذلك فقط حتى ان مار بطرس كان يمشي فكان حيثما بلغ ظلُّهُ لم يكن يسقط ظلُّهُ على مريض الّا شفاهُ (اعمال ٥ : ١٥) ومار بولس قد كان توخذ لفافتهُ فتوضع على المرضى فيأتيهم البرء .

وبهؤلاء التلاميذ تحقق كلام داود حيث يقول : « ان الرب يعطي المبشرين كلمة بالقوَّة الكثيرة » (المزمور ٦٧ : ١٢) . فليس لليهود من الحجة في قبولهم موسى الّا دون ما للامم في قبول المسيح لانَّ الامر هنا اعظم منهُ هناك كما ان ضوء الشمس اعظم من ضوء السراج . وقد كانت الامم تقتصر على ما عاينوا من الاعاجيب التي عملها تلاميذ المسيح باسم المسيح وكان ذلك حسبها داعية الى قبول المسيح والايمان بكل ما قال هو وتلاميذه عنهُ . هذا ولو لم يكن ناموس موسى والانبياء تنبأوا عليهِ لانهُ كما ان موسى حيث اتى بني اسرائيل صدقوه وقبلوا ما حكى لهم عن الله لِما صنع بين ايديهم من تلك الاعاجيب . وان كان لم يكُن احد ممَّن كان قبلُ موسى تنبأ على مجيءِ موسى ولم يلزمهُ بنو اسرائيل ان يحقّق نفسهُ بعد الاعاجيب بنبوة من كان قبلهُ عليهِ كذلك الامم قد كان يسعهم ان يؤمنوا بالمسيح ويصدقوه لما صنع من الاعاجيب التي لا تحصى التي عملها هو وتلاميذه ولو لم يكن موسى والانبياء تنبأوا عليهِ . فكم ينبغي ان نقبل المسيح اكثر ممَّا قُبل موسى لشرف ما قد يسبق ايضًا من نبوة موسى والانبياء كلهم عليهِ وعلى تدبيره كلهِ من الصلب (اش ٦٥ : ٢) والطعن (زك ١٢ : ١٠) وتسمير اليدين والرجلين والاقتراع على ثيابه (مز ١٧ : ٢١ — ١٩) والبصق في وجهه (اش ٥٠ : ٦) وجلد ظهره (مز ٧٢ : ١٤) وانهُ بجراحه يفدي الناس من خطاياهم ويداوي امراض ذنوبهم (اش ٥٣ : ٥) وانهُ سُقي خلًّا وأُطعم مرًّا (مز ٦٨ : ٢٢) ومواضع ما قد ذكرنا معروفة في الانبياء .

والعجب منك يا مكابر حيث تكون قد قبلت موسى لاعاجيبهِ المعدودة ولا

تقبل المسيح باعاجيبه التي لا تحصى ولا تعدّ. وهذا لو انك عدل قد كان واجبًا عليك ان تتبعهُ ولو لم يكن موسى والانبياء تنبأوا عليهِ كما قبلتَ موسى باعاجيبهِ ولم تكلفهُ ان يحقق نفسه مع ذلك بنبوة من كان قبلهُ عليهِ. ولو ان موسى كان امرك الّا تقبل نبيًا بعدهُ كما امر المسيح النصارى قد كنتَ لعمري معذورًا حيث تشككُ بالمسيح ولكن موسى لم يزل في ناموسهِ الطاهر يرجيك نبيًا يأتي من بعده (تث ١٨ : ١٥ و١٨) ويأمرك عزيمة بالسمع والطاعة لهُ في كل ما امرك بهِ. وينذرك الموت ان انتَ عصيت هذا النبي ويقول ان هذا النبي مثلهُ واضع الناموس وعهدًا جديدًا. وقد كان ينبغي من هذا القول ان تبطل الانبياء كلهم ما خلا هذا الواحد الذي أُمِرتَ بطاعتهِ كائنًا من كان. وقد اخبرك موسى ان يعقوب تنبأ لك انها لا تفنى منك النبوة حتى يأتيك المسيح الذي هو رجاء الامم (تك ٤٩ : ١٠). وبهذا حقّق الانبياء كلهم الذين قبل المسيح. ثم خصَّ هذا الواحد وامر بطاعتهِ مرارًا عن قول الله فكان ما سبق من اخبار موسى اياك بمجيء هذا النبي الذي هو واضع عهدًا ينبغي الّا يحبسك طرفة عين عن قبول المسيح والايمان بهِ حيث عمل هذه الاعاجيب. وكان يحق عليك ان تتدبر بعقلك فتقول ان النبي الذي امرني موسى بطاعتهِ هو هذا اذ كان يعمل الاعاجيب التي لا تحصى ولم يعمل موسى مثلها التي لو ان موسى اوقف امرهُ فلم يأمر بطاعته ولم ينهَ عنها قد كانت توجب لهُ عليَّ من العدل ان اقبلهُ بها وحدها ولا اكلّفهُ ان يحقق نفسهُ بنبوة من كان قبلهُ عليهِ كما قبلتَ موسى

كذلك اعلم ان هذا النبيّ هو واضع الناموس وعهدًا جديدًا ولذلك خصهُ بان اوعز اليك بطاعتهِ وردّد ذلك عليك. فاسمع الى قول الله في ارميا النبي: انها ستأتي ايّام يقول الرب اني اشترع لبني اسرائيل ولبيت يهوذا عهدًا جديدًا لا كالعهد الذي اشترعت لهم اذ اخرجتهم من ارض مصر (ار ٣١ : ٣١). وقال داود للرب : أقِمْ لهم يا رب واضع ناموس لتعلم الامم انها اناس (مز ٩ : ١١)

فان قلتَ : انَّ أسلافي الذين ظهر هذا الذي يسمونهُ المسيح فيهم وفي ايّامهم قد تلفوا وانا لست اعلم انهُ عمل عجبًا. قلنا لك : انَّ بيان ذلك قريب منك اذا حسنت نيَّتُك في خلاص نفسك. وينبغي لك ان تعلم ان المسيح قد عمل هذه الاعاجيب التي ذكرنا من قبول الامم اياهُ وحملهِ ايّاهم على كل ما يخالف عقولهم

واهواؤهم وشهواتهم ونقلهُ أيّاهم من رخاء الى شدّة ومن همل الى حصر ومن سعة الى ضيق ومن الرخص الى التشديد ومن الشهوات المباحة التي كانت لهم الى هجران الدنيا باسرها في شانه ورفض لذات الجسد وفخر الدنيا وان يُقدموا على القتل انفسهم بكل نوع من العذاب والمكاره على ألّا يكفروا بهِ. وقال لهم: من كفر بي بين ايدي الناس كفرت انا بهِ بين يدي ابي الذي في السموات. وقال: انظروا ما قلتهُ لكم في السرّ فأعلنوهُ انتم على الاجاجير ولا تخافوا من يقتل البدن ولا يستطيع ان يقتل النفس ولكن خافوا من يستطيع ان يقتل النفس والبدن جميعًا ويلقيهما في نار جهنم. وقال: من اهلك نفسه في شاني وجدها في حياة الابد. وقال: من اتبعني ولم يبغض اباهُ وامهُ واخوتهُ واخواتهِ وولدهُ وانسباءهُ فليس لي باهل. وقال: اني مخلّيكم كالخراف بين الذئاب. وان الدنيا تكون في سرور وانتم في حزن. وانّها ستأتي أيّام من يقتلكم يرى انهُ يقرّب لله ذبيحة

واشترع عليهم ان يباشروا هم قتل انفسهم في المثل بقطع شهواتهم واستئصال اهوائهم. وقال: من لطمك على خدك فحوّل لهُ الآخر. ومن سلبك رداءك فزدهُ ثوبك. وان انت نظرت الى امرأة كي تشتهيها فقد زنيت بها في قلبك. وان قلت لصاحبك راقا او احمق فقد وجبت عليك نار جهنم. وقال: سمعتَ انهُ قيل للاولين احبب مُحبّك وابغض عدوّك فانا اقول احبوا اعداءكم واحسنوا الدعاء لهم. وما شاكل ذلك

فاخبرني يا هذا كيف تظن ان الامم قبلت المسيح على هذه الشدة والموت الذي قد اشترعهُ عليهم ولاسيما مع شنع ما نسبهُ الى نفسهِ من الصلب والاوجاع والفضيحة. وان اعداءهُ شتموه وسمّروا يديهِ ورجليهِ وعلّقوهُ على خشبة وسقوه خلًّا واطعموه مرًّا حتى رشح منهُ عرق خاثر كالدم. وانهُ قال وهو على الصليب: الهي الهي لمَ خذلتني. فان هذا الامر ينبغي ان ينفّر السامعين كلّهم من اتباع المسيح ومن اتخاذهِ الاهًا كما قد اتخذتهُ الامم الهًا. وهذا معروف انهُ لم يكن يُقبل ابدًا لولا ان هذه الاعاجيب المذكورة في الانجيل وفي كتب التلاميذ قد عملت حقًّا. وهي التي كانت تبهر العقول وتضطرها الى قبول المسيح والايمان بهِ لامحالة

ولو ان المسيح كانت همتهُ الغرور لكان ينبغي لهُ ولو كان لهي هذه الامور التي ذكرنا ان يامر تلاميذه بكتمانها الامم وان يعظموه عندهم ويجلّوا امرهُ. وكان قولهُ

ان يطمعهم في الرخص والشهوات ليكون ذلك يدعوهم الى المسارعة اليه. ولكن لم يفعل هذا وحاشا لهُ ذلك. بل شنّع نفسه عند من دعاهم الى الايمان بهِ وكلّفهم القتل والموت في شانه

او ليس هـذا العجب. انَّ موسى دعا الله فعظّم الله وقال: « ان الله خالق السماء والارض وانهُ فوق السموات » واتى ذلك من تمجيد الله واجلاله في كل نحو. وبدأ يخلّص بني اسرائيل بان فكّهم من عبوديّة فرعون وشقّ لهم البحر واحدر لهم المنّ والسلوى. وفجر لهم الماء من الصخور. وقتل لهم الامم. وقال لهم ان الله سيقويكم فتقتلون امم الشام وتستحوذون على بلادهم وترثونها. واشترع ناموساً ممتلئاً رخصاً وفي كل ذلك لم يتبَعهُ احد من الامم ولا قنع بنو اسرائيل بقوله ولا آمنوا بالههِ بل نزل على طور سينا فارتعد الجبل تحتهُ ودخن وادخل الروع في قلوب بني اسرائيل من منظره فلم يلبثوا حتى عبدوا العجل وهم تحت طور سينا. وتلاميذ المسيح خرجوا فشنَّعوا عندهم على المسيح بهذه الاوجاع التي ذكرنا والصلب والكلام الذي يُظنّ انهُ وهنٌ وكلّفوهم هذه الشدة التي اشترعها المسيح عليهم فاجابهم الخلق. ومن لا يعلم ان هذا لم يكن الّا من شرف الاعاجيب التي كانوا يعملونها باسم المسيح التي هي ارفع من اعاجيب موسى كما ان السماء ارفع من الارض

ولا تستطيع ان تقول يا هـذا ان الامم انما اتّبعت المسيح تعصُّباً لقرابة كانت بينهم وبينه. فهذا عليك انت ولقد كان الانسان جديراً ان يولج هـذه التهمة عليك بانك اتّبعتَ موسى تعصُّباً لهُ لانهُ كان منك ولتشرُّف بدولته وتعتزّ بملكهِ الذي اعطاه الله. فامَّا الامم فانهُ لا سبيل لشيء من هذه التهمة ان تدخل عليهم في اتباعهم المسيح لان التلاميذ الذين دعوهم كانوا من اليهود وانما دعوهم الى من كان في ظاهر امره من اليهود وكان ينبغي ان يدعوهم ذلك الى الاقشعرار والنفار منهُ لان اليهود كانوا اعداء الامم كلها ولم يشوبوا في دعوتهم طمعاً ولا شرفاً ولا عزّاً بل خلاف ذلك كله. اذاً اعلم يا يهودي ان هذه الامم كلها لم تتّخـذ المسيح الاهاً ولم تدن لهُ بهذه الطاعة التي تبلغ مهج النفوس في كل يوم الّا بهذه الاعاجيب التي ذكرنا ان التلاميذ عملوها بين ايديهم باسم المسيح

ولعلك تقول ان هذه الامم اتّبعت المسيح بالجهل. فان كان هذا كذلك عندك

فاحمل ان كنت صادقاً هذا الكلام الشنيع الذي يقال في المسيح وهذه الشرائع التي فرضها واذهب أقنع بها ولو رجلاً واحداً من الجهّال ولكن لست تقدر على هذا بل الجهال اشد نفاراً من قبول هذا الامر من غيرهم لان الجاهل انما همتهُ شهوتهُ كالبهيمة. واقرب الكلام الذي يشرب به عقل الجاهل ما كان مموّهاً سوقياً. ولقد كان دينك يا هذا اولى ان يقبلهُ الجاهل من دين النصارى لما في دينك مما ذكرنا من تعظيم الله واجلاله جهاراً والارعاب منهُ ولما فيهِ من الرخص والطمع في الملك والعزّ والعسل واللبن وترويج النساء الكثيرة والطلاق متى شئت واستذلال الامم وانك ستُحمَل كما زعمتَ على رقابهم ويكونون لك عبيداً وبناتهم اماء وانك ستبنى لك مدينةً وهيكلاً بالزمرد والياقوت. هذا الى مثله يفرّ الجهّال وفي مثله يطمعون. ولو خرج احد يدعو الى هذا ويضمنهُ للناس لما كان عجباً ان يتبعهُ الناس ولاسيّما اذا هبّت لهُ ادنى ريح من دولة يعطاها كما قد رأيناه يكون

وان قلت يا صاح ان هذه الامم التي اتّبعت المسيح انما كانوا حكماء فحكمتهم هي التي دعتهم الى اتباعه. فانهُ ينبغي لك ان تكون تبعاً لهم اذ نسبتهم الى الحكمة مع ان هذا الامر الشنيع الذي يوصف بهِ المسيح ويُنسب اليهِ لا يقبلهُ حكيم من حكماء الدنيا وقد يفوق عقول الناس كلهم حتى تفيض عليها نعمة روح القدس فتنفتح ان المسيح اله كما قال مار بولس انهُ ليس احد يقدر ان يقول ان المسيح رب الّا بروح القدس. وان لم تصدّق بهذا فاحمل دعوة المسيح الى كل حكيم من حكماء الدنيا وأقنع بها ولو واحداً منهم. ولكن لا تستطيع لان حكمة الدنيا انما همتها فخر الدنيا وألّا تصدّق ما خالف حدود الكيان التي غاصت عليها دون عقل العامة والتجمل بصفاقة الكلام والغرور بحلاوة الكلام. ودعوة المسيح خلاف لهذا كله. ولكن الامر كما قال بولس انهُ بحكمة الله لم يعرف العالم الله بالحكمة فاحبَّ الله ان يجتبي من الذين يؤمنون بحمق الدعوة (١ كور ١: ٢٨)

وان قلت ان الذين اتبعوا المسيح كانوا في عقولهم اوساطاً فقد تقول ما لا يكون لان اوساط العقول غايتها الحزم في امور الدنيا الظاهرة وألّا يقبلوا الّا شكيلاً لما قد اختبروه قديماً مما ادّت اليهِ التجارب والحواس. ودعوة المسيح لا يمكن ان يُبَشَّر بها هذه العقول بل هي تشمئز منها وتستجفيها جداً (البقيّة للآتي)

التدريب على التعريب

لحضرة الكاتب العالم المحقق والباحث المتفنن المدقق الاب انستاس الكرملي

لقد اصبحنا في زمان ضاق دونهُ نطاق اللغة العربيَّة. وغدا ابناؤها في حاجةٍ ماسَّة الى إدخال الكلم الاعجميَّة. في مصطلحاتها العلميَّة والصناعيَّة. اذ ليس اليوم من كاتبٍ يكتبُ عن شيء عصري. او يُنتدب لتأدية رسم فكري. او تصوير امر فطري. الَّا ويتخذ لذلك قوالب غريبة. وصورًا ألوانها جديدة قشيبة. وهذا ما تشهد به الصُحف التي تجوب الأقطار. والكتب العربيَّة التي تؤلَّف في جميع الديار. الَّا انهُ وان كان الجميع يشعر بهذا الخلل في اللسان. ووجوب ادخال الاعجمي فيهِ على تراخي الزمان. غير انهم لم يتفقوا في الكم والكيف لما يتصوَّرهُ كل حزبٍ من وراء ذلك على اللغة من الحَيف

امَّا من جهة « الكم » فان البعض منهم « افرطوا » في استعمال الدخيل اي افراط. حتى اثار في كثيرين الهياط والمياط. واشتدَّ فيهم الصخب والعياط. ومنهم من « فرَّط(١ » اي تفريط. حتى عُدَّ ممَّن ليس من هذا العصر الجديد النشيط. بل ممَّن اذا قيل لهُ تَيمَّ يقول « حتى يجيء نشيط ». ومنهم من ركب متنًا « وسطًا » جامعًا بين الطرفين. باخذ الزَّين. ممَّا في الاثنين. وبدفع الشين. الى مطارح البَين والحَين. وهذا الراي يكاد يكون الراي الغالب في هذه الأيام. وعليهِ يعوِّل العلماء الأعلام

امَّا من جهة « الكيف » فان منهم من ذهب الى وجوب ادخال اللفظة الاعجميَّة بهيئتها وصيغتها الاجنبيَّة. ومنهم من قال بان تفرغ الكلمة اوَّلًا بقالب عربي. ثم توزن بميزانٍ قُرَيشي. فان كان فيها ما يثقل الميزان. او يوقر الآذان. طُرحت تلك الزيادة. وان أضرَّت بالفائدة او الافادة. ثم يُسحَل مكانها. ويُرَمَّم صَوغها وبُنيانها. وبعدئذٍ تُبرَز تلك الفرائد من وراء ذلك القناع. لترصَّع بها اصداف الاسماع. وان كان فيها ثلم او نقصان. يُزاد عليها بعض الزَّيدان. لتلحق باحد الاوزان العربية. والصيغ

(١) فرَّط في الشيء قصَّر فيهِ وعجز وهو ضد افرطَ

المسموعة عن ابة اللغة المُضَرية . واماً على ايّ وجهٍ تكون هذه الزيادة او هذا الطرح . فمماً يطول فيهِ الشرح . لانهم تركوه الى الاهواء والاذواق . او ما انعقد تحت هذا الباب او هذا النوع من الرواق

ومنهم من قال لا حاجة لنا الى ادخال كلم اعجمية . في اللغة العربيَّة . بل يُوضع فيها ما يَعني معناها . فيُغني مَغناها . وذلك على الطريقة التي دخلت الكلمة العصريَّة . في اللغة الاجنبيَّة . وفي كل هذه المذاهب من الآراء . ما اثار بين اصحابها حرباً سجالاً . واستلزم لشرحها مقالاتٍ طوالاً . وبعد ان اجلنا النظر في ما كتب هؤلاء الادباء . ووقفنا على ما عثرنا عليهِ في كتب القدماء النجباء الالبَّاء . لخَّصنا هذه المقالة . لعلَّها تكون للعاثر اقالة . وللجائع نُجالة . هذا وقد اعتمدنا في كلّ ما حرَّرناه على اقوال الائمة . مؤيدين كل راي بما لهُ من الاسانيد المهمَّة . مستخلصين من نصوصهم بعض قواعد ظواهر . تكاد تزري بالفرائد النوادر . لا بل بالخرائد النواضر

١ُ دفع راي من يُفرط في ادخال الالفاظ الاعجمية في اللغة العربيَّة

اذا انعمتَ النظر في ما يكتبهُ هؤلاء الادباء ترى الفاظهم الاعجمية لا تخلو من احد هذه الامور الثلاثة وهي: كلمٌ دخيلة لا مرادفات لها في العربيَّة . وكلم لها مرادفات فيها لكنهم يجهلونها . وكلم يمكن ان يوضع لها مرادفات من نفس اللغة . غير ان هؤلاء الكتبة لا يلتفتون الى هذه الفروق بل كثيرًا ما تراهم يدوّنون الالفاظ الاجنبيَّة حُبًّا بها وتشيُّعًا لاصحابها وافتخارًا بادخال الفاظ غريبة لا يفهمها جمهور القرَّاء . تبجحًا بالتبحّر في العلم والمعرفة وادّعاء بهتك حُجُب المجهولات . فاذا كان الامر كذلك فما احرى بهؤلاء الفضلاء العقلاء ان يكتبوا باللغة الاعجمية فيبرّدوا بذلك غليلهم ويُشفوا بهِ عليلهم ولا يُجهزوا على لغتنا الشريفة —

هذا وانَّنا نعترض عليهم بقولنا : اذا كنتم تُدخلون الكلمة الفلانية الاعجمية بدون علّة او بعلة وهميَّة فلِمَ لا تدخلون الكلمة الثانية والثالثة والرابعة بل اللغة بحذافيرها . واذا كان الهوَى هو الحَكَمُ في هذه الدعوى فسدت كل حجّة لانهُ ليس من قائد يقود الهوى ولا من رادع يردعهُ وهوى هذا غير هوى ذاك وما يرحّب بهِ زيدٌ يدفعهُ عمروٌ وعليهِ فما تلبث اللغة ان تصبح أُلعوبةً بيد هؤلاء الاقوام المتباينين في المشارب والمذاهب

ولا تعتم ان تنقلب طُمطمانية او رُطينى او لغة مبلبلة لا يفهم فيها الواحد لغة الآخر

ومن الامور التي توجب علينا تسفيه راي مثل هؤلاء الكتّاب ان للغة العربيّة كما لسائر اللغات النافظا واوضاعاً خاصّة بها فاذا كان يبذلها الكاتب لغايات في صدره فلماذا ينسب لنفسه بعد ذلك معرفة العربيّة ولماذا يدّعي السلامة لعقله مع انهُ اذا راى رجلاً يخبط خبط عشواء في كلامه وينتقل من موضوع الى موضوع آخر ومن فكر اول الى فكر ثانٍ بدون جامع يجمع بينهما وبدون رابط يربط هذا بذاك يقول ان هــذا الرجل مصاب في عقله. ولماذا لا يقول مثل هذا القول لنفسه وهو ينتقل من لغة الى لغة ومن لفظ الى لفظ بدون سبب يوذن لهُ ذلك او يجيز لهُ هذا الانتقال

وهنا يعترض علينا اصحاب الراي المخالف بقولهم: ان اللغة ترجمان صادق عن حالة الأُمّة ينطق بحياتها ان رآها حيّةً وينصح عن احتضارها ان الفاها قد اشفت على شفا البوار والزوال. فاذا كانت حيّةً فلا بُدَّ لها من النمو وهذا يكون بالاضافة اليهــا من الخارج (اي من الدخيل) كما تنمو بالتوسُّع فيها من الداخل شأن الاجسام الحيّة

قلنا: في هذا الكلام صحيح وفاسد. فصحيحهُ ان عنوان الحياة هو النموّ. وفاسدهُ ان يكون هذا النموّ من الداخل والخارج بوجه الاطلاق. امّا موطن فساده فهو ان النموّ لا يكون الّا اذا كانت تلك الدقائق الجديدة (داخليّة كانت او خارجيّة) توافق بناء الدقائق الجوهريّة الاصليّة. والّا فان لم يتمّ هذا الشرط او ما ضــاهاهُ تدافعت الدقائق وامتنع النموّ واقبلت جيوش الانحلال والاضمحلال كما هو الامر في الســموم وسائر الاجسام الحلّة لغيرها اي اننا نرى هذه السُّنّة في نفس الجماد والنبات والحيوان وعلى مثالها حياة اللغة. فان الالفاظ الاجنبيّة التي لا تماثل جوهرُها جوهر الالفاظ العربيّة او لعدم الحاجة اليها لا تزال تقاتل طائفة الالفاظ الاصليّة حتى تُميت الواحدة الاخرى. فانظر مثلاً الى بعض الالفاظ مثل: جُرنال وغزتّة ونحوهما فانهما كانت كثيرة الاستعمال قبل ٥٠ سنة فما ظهرت كلمة جريدة وصحيفة حتى التحم القتــال بين هاته وتلك ولم يَعُد يبقى للاولى أثرٌ في المصنّفات الحديثة. مع ان الكلمتين الاوليين قد أُفرغتا في قالب عربيّ ووُزنتا بميزان قُرَيشيّ

ويعترضون: ان العرب لمّا نقلوا كتب الاعاجم الى لغتهم ادخلوا كثيراً من الالفاظ العلميّة والاصطلاحية من لغات الاجانب فلماذا يجب علينا ان نكون أغير

على العربيّة من اصحابها الاوّلين عليها ؟ —قلنا: ان ناقلي كتب الاقدمين فريقان. فريق عارف بالعربيّة وطرقها واساليبها وشعابها الخ. وفريق لا يعرف منها الّا قواعدها العامّة الكافية لاصلاح كلامهِ وتخليصهِ من شوائب الخطأ والخطل. فالطائفة الاولى لم تُدخل في العربيّة الّا الشيء النزر الذي لا مندوحة عنهُ ومن هذا الفريق مترجمو كتب الحساب والهندسة والفلسفة والمنطق وعلم الفلك وعلم ما وراء الطبيعة والتوراة وعلم الآداب والاخلاق ونحوها. فانك لا تكاد ترى في جميع هذه العلوم الّا القليل من الدخيل. وأمّا الفريق الآخر فلا يكاد يكلّف نفسهُ عناء في ايجاد الالفاظ العربيّة المقابلة للاعجمية ولذا اجتزأوا بتدوين الالفاظ على ما هي في اصلها. ومن هؤلاء المعرّبين مترجمو علم الطب وعلم الطبيعيات وعلم المواليد اي الجماد والنبات والحيوان وما كان من هذا الباب. الّا انهُ لمّا وقعت تلك الترجمات بعد ذلك في ايدي الفصحاء من العرب طرحت كثيرًا من الالفاظ الدخيلة وابقت منها ما شاع وذاع وخفَّ على الاسماع اذ لم يَعُد سبيل الى إماتتها كما يتحققهُ كل امرئٍ خالٍ من الغرض

ويقولون ان منع دخول الالفاظ الغريبة الاصل في العربيّة تضرّ بغناها وتحول دون ثروتها. قلنا: ان مثل هذه الثروة لا تُجيزها الضرورة فمثل ذلك مثل من يُريد ان يتحوّل بسرقة مال الغير ونهبهِ وسلبهِ. نعم ان من ينظر الى مجرّد النموّ في الثروة يراهُ امرًا راهنًا لكن اذا فكّر في اسباب جمعها حكم بجرامها ولم يحلّ ابقاءها عند صاحبها

والخلاصة من هذا الفصل انهُ لا يجوز لنا ان نرحّب بكل غريب ونضيف كل دخيل ان لم يكن ثمَّ ما لا يُغنينا عنهُ او ضرورة تلجئنا اليهِ. وعليهِ فلا يحسن بنا ان نجاري الكتبة المُعجمين في كل ما يكتبونهُ او ينقلونهُ لنا بل علينا ان نتخذ من الألفاظ الاعجمية ما يفي بالمقصود او يصلح المفسود

٢ً دفع راي من يُفرِط في ادخال الألفاظ الاعجمية في العربية

بين كتبة العربيّة في هذا العصر جماعة لا يقبل اصحابها بل ولا يريدون ان يسمعوا بكلمة اعجميّة تدخل لغتهم. غير ان معظم هؤلاء الافاضل اناس لا خبرة لهم باللغات الاجنبيّة او ان اردتَ فقُل ليس لهم خبرة تامّة او ليس لهم وقوف على ما يستحدثهُ كل يوم علماء البلاد الاجنبيّة وما يخترعونهُ من الآلات والادوات الصناعيّة

وما يستنبطونهُ من مجهولات الطبيعة واسرارها الخفيّة وما ينشرونهُ من المصنّفات العاميّة المشحونة من المعاني الدقيقة والأفكار الأنيقة والتصاوير البديعة والأوصاف العجيبة التي لم تمرّ على بال السابقين ولم يطفْ طائفها في مطاف مخيّلة الاوّلين. — وقول البعض ان الكلمات الدخيلة تبلغ نحو مئة كلمة هو من المزاعم الصبيانيّة تنقدها الحقيقة في كل زمن اذا ما أحبَّ الباحث الصادق النيّة الوقوف عليها بخلوص الطويّة

هذا ولنا اسوة بسائر الأمم ولُغويّيها وكتبتها ومصنّفيها فانهم لا يدخلون كلمة غريبة في لسانهم الّا اذا ارادوا ان يعبّروا بها عن صورة معنويّة جديدة او يتوخّوا فائدة من اللفظ او غايةً لا يصلون اليها اذا اتخذوا الفاظ لغتهم سبيلًا الى ذلك او اذا لم يجدوا لها مرادفًا في لغتهم او اذا كانت اللفظة في لسانهم تقصر عن تأدية المطلوب من الكلمة الدخيلة. وعليه فجاراتنا اياهم في هذا الميدان. ممّا يحمدهُ كل انسان. وينطق بالثناء عليه كل لسان

وبدون ان نأتسي بالاجانب فلنقتفِ آثار من تقدّمنا من العرب وكُتّابها الضلماء. فلقد رأيناهم لا يأنفون من اتخاذ الألفاظ الاعجميّة كلّما دعت الضرورة اليها. ولنا من الاعجمي الذي سبق ظهور الاسلام ودخل في ابان انتشاره او بعدهُ بقليل او كثير ما يضمن لنا جواز الاخذ عن الاعاجم كلما مسّت اليه الحاجة او قصرت اللغة عن تأديتهِ او وضع مرادف لهُ

وربَّ معترض يقول: ان الاخذ عن الاعاجم اهانة بحق اللغة العربيّة الواسعة كأنّها ترميها بشائبة النقص. قلنا: لا اهانة في ذلك ولا منقصة لان هذا يكون اذا كانت اللغة قاصرة عن تأدية الامور العاديّة او الطبيعيّة او الحاجيّة او ما شابهها. واما ما في عدا ذلك فلا

واما معرفة الالفاظ التي يجب علينا ادخالها اللغة العربيّة وما هي الطُرق والقواعد لتعريبها وبايّ الصور نصقُها في عداد الألفاظ العربيّة فسوف يأتي الكلام على هذا الموضوع في موطنهِ ان شاء الله. — واما اذا سألتني: هل يجوز اتخاذ التعابير الاجنبيّة والتصاوير الاعجميّة ممّا لا عهد بهِ للعرب؟ — فقد اجبناك عن هذا في ما سبق من كلامنا في المشرق (٦: ٢١٧) بجوابٍ وافٍ شافٍ فراجعهُ في محلّهِ واكتفِ بهذا التلميح عن التكرار فانهُ بهذا الصدد كافٍ

٣ً انتهاج نهجاً وسطاً في التعريب

هذا النهج ينهج ممّا تقدّم القول في المقدّمتين اي انك اذا ابتعدتَ عن النقيضتين الإفراط والتفريط لم يبقَ لك الّا الوسط على حدّ القول المأثور: « خير الامور أوساطها » ولمّا كان المشرق قد افاض في الشرح عن هذه النتيجة (٣: ٧٧٣) وما يليها لم يبقَ في النفس حاجة الى خوض غمار هذا البحث على غير جدوى

٤ً دفع راي من لا يُريد إدخال الدخيل في العربيّة

لا حاجة في تخطئة هذا الراي وتسفيهه فانهُ من ذاته لا يقوم على قائمة قويمة اذ انّ أوْدها وفسادها ظاهر لكل ذي عينين هذا وانك تعلم ان اصحاب هذا المذهب أفراد يُعَدّون على الاصابع ومعظمهم غير واقفين على الحالة العاميّة والصناعيّة الحاضرة بل ولا على الحالة اللغويّة السابقة لانهم لو رجعوا الى المعلّقات وسائر القصائد التي نُظمت بعدها لا بل لو وقفوا على ما سبق تلك المعلقات لتحقّقوا ان الدخيل قد تسرّب الى كلامهم حتى لم يبقَ في ذلك أدنى رَيب فكيف يطالبون بعد هذا بَيض الأَنوق والأبلق العقوق

طرف

من كتاب تاريخ الوزراء لهلال بن المحسّن الصابئ

سألنا كثيرٌ من القرّاء ان نزيدهم علماً عن تاريخ الوزراء الذي وصفناه في المشرق (٦: ٤٦٦–٤٧٥) وعن محلّ بيعهِ مع نقل بعض طرف منهُ فاجبنا الى طلبتهم. هذا الكتاب عبارة عن ٥٨٠ صفحة وهو لا يزال تحت الطبع ويتمّ نشرهُ بعد شهرين وانّما يطلب من متولي طبعهِ المسيو اميدروس بهذا العنوان

H. J. Amedroz

7, New Square, W. C., London

ومن اراد ان يطلبهُ على يد مطبعتنا لبّينا طلبتهُ وثمن الكتاب ١٥ فرنكاً. وهذه طرفٌ منهُ تبيّن محاسنهُ

ل. ش

١ كرم نفس ابي العبّاس بن الفرات (ص ٧٢)

لمّا قدم عُبيد الله بن سليمان من الجبل في أيّام المعتضد بالله رحمة الله عليه صار اليه ابو العباس وابو الحسن ابنا الفرات في عشيّ يوم فوجداهُ يميّز اعمالًا وكُتبًا وبين يديه كانون عظيم يحرق ما لا يحتاج اليه فدفع الى ابي العباس إضبارة ضخمة وقال لهُ: «يا ابا العباس هذه الاضبارة رقاع وسعايات بك وباخيك من اسبابكما وثقاتكما وصنائعكما وردت عليَّ بالجبل فخبأتها لك لتعرف بها من ينبغي ان تحترس منهُ وتعامل كل واحدٍ بما يستحقهُ» فاكثر ابو العبّاس في شكره والدعاء لهُ. وبدأ ابو الحسن يقرأ شيئًا من الاضبارة فانتهرهُ ابو العباس وقال: لا تقرأ شيئًا منها. واخذها فطرحها في الكانون وقال: ما كنتُ لاقابل نعمة الله على ما وهبهُ لي من تفضّل الوزير بما يُوجب الاساءة الى احدٍ ولا حاجةَ لي الى قراءة ما يوحشني من اسبابي ويجرّ عليهم اساءةَ منّي. فلمّا نهضنا قال عُبيد الله بن سليمان: اردتُ التفرّد بمكرمةٍ فسبقني ابو العباس اليها وزاد عليَّ فيها

٢ قصة الحجّام مع الحجّاج بن يوسف (ص ١٠٦)

اخبر ابو الحسين بن الفرات قال: بلغنا ان الحجّاج احتجم ذات يوم فلمّا ركّب (الحجّام) المحاجم على رقبته قال لهُ: احبّ ايها الامير ان تخبرني بخبرك مع ابن الاشعث وكيف عصا عليك. فقال لهُ: لهذا الحديث وقت آخر واذا فرغتَ من شأنك حدّثتُك. فاعاد مسألته وكرّرها والحجّاج يدفعهُ ويعدهُ ويحلف لهُ على الوفاء لهُ. فلمّا فرغ ونزع المحاجم عنهُ وغسل الدم احضر الحجّامَ وقال لهُ: انّا وعدناك بان نحدّثك حديث ابن الاشعث معنا وحلفنا لك ونحن محدّثوك: يا غلام السياطَ. فاتي بها. فامر الحجاج فجُرّد وعلّتهُ السياط واقبل الحجّاج يقصّ عليه قصّة ابن الاشعث باطول حديث. فلمّا فرغ استوفى الحجّام خمس مائة سوط فكاد يتلف. ثم رفع الضرب وقال لهُ: قد وفينا لك بالوعد واي وقتٍ احببتَ ان تسأل خبرًا مع غير ابن الاشعث على هذا الشرط اجبناك

٣ رشاش الحبر (ص ١٩٥)

قال ابو القسم بن زنجي حدّثني ابي قال: كان ابو الفضل بن الحجّام النحوي يُكثر

الجلوس الى جانبي في دار ابي العباس احمد بن محمد بن الفرات يحادثني فاتفق ان جلس يوماً على رسمه واستمددتُ من الدواة فترشش من ذلك المداد على ثيابه فاخذ قاماً من دواتي وقرطاساً من بين يديَّ وكتب الى ابي العباس :

يا سيدي ومؤملي في كل حادثة وزَبِر
لك كاتبٌ شابَ الكتابة بالبلاغة ايَّ شَوْب
فاذا جلستُ بجنبه جعل اسمَهُ صبغاً لثوبي

يعني « زنجي » . فضحك ابن العباس مما كتب به وامر فحُملت اليه عدة أثواب من دبيقي وقصب وغير ذلك

٤ ـ مطابخ الوزير ابي الحسن بن الفرات (ص ١٩٤)

قال ابو القسم : وكان لابي الحسن بن الفرات مطبخان في داره . فاما مطبخ الخاصة الذي يُطبخ فيه فلا أُحصي ما كان يدخله من الغنم والحيوان لكثرته . واما مطبخ العامة المرسوم بما تتقدم الى خلفاء الحجّاب المتبين في الدار ويُعرف منهُ للرجالة والبوابين واصاغر الكتاب وغلمان اصحاب الدواوين فكان يُستعمل فيه في كل يوم تسعون راساً من الغنم وثلثون جدياً ومائتا قطعة دجاجاً سماناً وفراريج مُصدرة ومائتا قطعة دُرّاجاً ومائتا قطعة فراخاً . وهناك خبّازون يخبزون الخبز السميذ ليلاً ونهاراً وقوم يعملون الحلواء عملاً متّصلاً ودارٌ كبيرةٌ للشراب وفيها ماذيانٌ يُجعل فيه الماء المبرّد ويطرح في الثلج كدراً ويسقى منهُ جميع من يريد الشرب الرجالة والفرسان والاعوان والخزّان ومن يجري مجرى هذه الطبقة من الاتباع والغلمان ومُزمّلات فيها الماء الشديد البرد . وبرسم خزانة الشراب خَدَم نظاف عليهم الثياب الدبيقيّة السِيَريّة (وفي الاصل السريّة) وفي يد كلّ واحدٍ منهم قدحٌ فيه سكنجبين او جُلاّب ومخوض وكوز ماء ومنديل من مناديل الشراب نظيف فلا يتركون احداً ممّن يحضر الدار من القوّاد والخدم السلطانيين والكتّاب والعمّال الّا عرضوا ذلك عليه . وفي جانب الدار ادراجٌ كثيرةٌ لاصحاب الحوائج والمتظلمين حتى لا يلتزم احدٌ منهم موؤنة لما يبتاعه من ذلك وانصاف قراطيس واثلاث

٥ ـ جلساء بن الفرات وطعامهُ (ص ٢٤٠)

حدّث ابو القسم بن زنجي قال : رسم ابو الحسن علي بن محمد بن الفرات في وزارته

الثانية ان يُدعى ابو الحسن موسى بن خلف وابو علي محمد بن علي بن مقلة وابو الطيب محمد بن احمد الكلوذاني وابو عبد الله والدي وابو بشر عبد الله بن الفرخان النصراني وابو الحسين سعيد بن ابرهيم التستري النصراني وابو منصور عبد الله بن جُبير النصراني وابو عمرو سعيد بن الفرخان النصراني في كل يوم الى طعامه. فكانوا يحضرون مجاسهُ في وقته ويقعدون من جانبيه وبين يديه ويُقدَّم الى كلّ واحدٍ منهم طبق فيه اصناف الفاكهة الموجودة في الوقت من خير شيء. ثم يجعل في الوسط طبق كبير يشتمل على جميع الاصناف وكل طبق فيه سكّين يقطع بها صاحبهُ ما يحتاج الى قطعه من سفرجل وخوخ وكمّثرى ومعهُ طست زجاج يرمي فيه الثفل فاذا بلغوا من ذلك حاجتهم واستوفوا كفايتهم شيلت الاطباق وقُدّمت الطسوت والاباريق فغسلوا ايديهم وأُحضرت المائدة مُغشَّاة بدبيقي فوق مكبّةٍ خيازر ومن تحتها سفرة أدَم فاضلة عليها وحواليها مناديل الغَمَر من الثياب المقصور. فاذا وُضعت رُفعت المكبّة والاغشية واخذ القوم في الأكل وابو الحسن بن الفرات يُحدّثهم ويُباسطهم ويؤانسهم. فلا يزال على ذلك والألوان تُوضع وتُرفع اكثر من ساعتين. ثم ينهضون الى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه ويغسلون ايديهم والفرّاشون قيامٌ يصبّون الماء عليهم والخدم وقوفٌ على ايديهم المناديل الدبيقيّة ورطليّات ماء الورد لمسح ايديهم وصبّه على وجوههم فمن كانت لهُ من الكتّاب حاجة قام اليه وخاطبهُ فيها وسألهُ اياها ومن اراد اطلاعهُ على سرّ يجب الانفراد معهُ فيه فعل مثل ذلك. ثم يُخرج وظائف الكتّاب وغلمانهم والخزّان ومن دونهم وسائر من جرت عادتهُ بالوظيفة على طبقاتهم واتبع ذلك بتفرقة وظائف الثلج على اصحاب الدواوين والكتّاب والمقيمين في الدار

٦ ثمَّ ما استطعتَ فرحًا (ص ١٩٦)

حدّثني عمي أبو الطيّب احمد بن اسماعيل قال: كان معنا في الديوان خازنٌ شيخ قد خزن في الدواوين في سرّ من رأى يُعرف بجعفر الحرامي فكان يقول كثيرًا: «ما استطعتَ ان لا تبيت مغمومًا فافعل». فكنتُ اسمع هذا الكلام منهُ صَفحًا. فلمّا كان بعد مُدّةٍ وانا اكتب بين يدي ابي العباس احمد بن محمد بن الفرات واختّف عنهُ جاءني رجلٌ من الثُنّاء بالسواد ومعهُ توقيعٌ بنقل مقاسمة بيدر لهُ من رسم ثقيل

الى رسمٍ خفيف ذكر ان ابا القسم عُبيد الله بن سليمان وقَّع لهُ بهِ وتوقيع ابي العباس بن الفرات فيهِ بالعمل على موجبهِ. فاستربتُ بالتوقيع فشككتُ في صحّتهِ وبذل لي مائة دينار على امضائهِ وكَتْب الكتاب بمقتضاه. ففعلتُ واخذتُ المائة الدينار وتسلّم الكتاب. فلمّا كان الليل واويتُ الى فراشي اجتهدتُ في النوم فامتنع عليَّ وذكرتُ ما عملتهُ وتجوّزتُ فيهِ فضاق صدري وساء ظنّي وقلتُ: « هذا الذي كان يحذّرني منهُ جعفر الحرامي ». وندمت على ما كان منّي وتقلّبتُ على الفراش من غير ان يدخل النوم عيني وحدّثتُ نفسي بالركوب وقصد الرجل. وقد كان ذكر لي فيما جرى بيننا من الحديث ان منزلهُ في الجانب الغربي في سكّة كذا من سكك المدينة فلم يمكن ذلك لأنهُ كان اول الليل. ثم لم ازل على حالي في القلق طويلًا حتى اذا زاد ما بي تقدّمتُ الى غلماني بان يسرجوا لي وبالخروج الى الشارع والمسألة عمّن بتلك الطريق فخرجوا وعادوا يذكرون انهُ ما مرَّ احدٌ. ثم امرتُهم بان يُسرجوا لي على كل حال واسرجوا وحملوا بين يديَّ شمعةً وركبتُ وسرت فاذا الشرائج ممدودة وابواب الدروب مغلقة فما تهيّأ لي فتح شيء منها الّا بيَرَ الحرّاس

ولم ازل على ذلك حتى انتهينا الى راس الجسر من الجانب الشرقي فكان الباب مقفلًا فسأل الغلمان الموكّل بهِ فتحهُ فابى وبذلوا لهُ دراهم عن ذلك فلم يقبلها. ووقفتُ الى ان وافى فُرانق من قبل بدر غلام المعتضد بالله بكتابٍ منهُ الى بعض اهل الدولة النازلين في الجانب الغربي ففتح لهُ الباب وجاز وجزتُ معهُ. ثم وصلتُ بعد اجتهادٍ الى دار الرجل وتقدّم غلماني الى بابهِ فدقّوهُ وطالعهم من السطح وسألهم عمّا يريدونهُ فاشعروه بحضوري فأمهل قليلًا ثم فتح الباب واذن في الدخول ورآني فانكر مجيئي في مثل ذلك الوقت وقال: لو كتبتَ اليَّ لجئتُك فما الذي تحبّ الآن. فقلتُ: وقع عليَّ سهو في الكتاب الذي كتبتُهُ لك وخفتُ ان يقع عليهِ من يتتبّعني ويتطرّق من قولهِ قباحة عليَّ. فقال: هذا قول لا يجوز على مثلي ومن المحال ان يخرج عن يدك ما فيهِ لحنٌ وخطأ ولعلّك فكرتَ في شيء آخر من امر الكتاب نفسهِ. فقلتُ: لا بُدَّ من احضارهِ. فقال: توقّفْ قليلًا. ثم قام وغاب لحظةً وجاء معهُ صرّةٌ فيها خمسون دينارًا وقال: تلك مائة وهذه خمسون دينارًا وليس في كلّ وقت يعرض مثل ذلك وكم في الدواوين من توقيع يجري هذا المجرى ولا يُوبَهُ

لهُ ولا يُتنبَّه عليهِ. ورغّبني فيها ترغيباً كدتُ معهُ ان آخذها. ثم ذكرتُ محلّي من ابي العبّاس بن الفرات وموضعي من خدمتهِ ومكان اخي منهُ وانني اقدر ان أُفيد معهُ وفي جملته الفوائد الكثيرة. فتماسكتُ وامتنعتُ وعاودتهُ المطالبة بالكتاب ووضع غلامي بين يديهِ المائة الاولى. فقال: احبُّ ان تتوقّف قليلاً. وقام ثم رجع ومعهُ الكتاب وخمسون ديناراً أُخرى وقال: هذه مائتا دينار وهذا الكتاب فاختَرْ ما تُريدهُ منهما وخذهُ. واعاد من تهوين القصّة وتجديد القول الداعي الى الرغبة ما كادت به يدي تمتد الى الدنانير. ثم راجعت الفكر واشفقت من ظهور الامر للاعداء وفساد الجاه

واخذت الكتاب ومزّقتهُ ونهضتُ وركبت. فلمّا توسّطت الجسر رميتهُ مُخرّقاً في الماء وعدت الى منزلي وكنت اول بسوق العطش. وقد بقيتْ سُدفةٌ من الليل فطرحت نفسي على الفراش ونمت نوماً طيباً وزال ما كنت عليهِ من سوء الفكر واستشعار الخوف واصبحت وسألت غلماني عمّا عندهم من الطعام وانتذت الى جماعة كانوا يعاشرونني فحضروا واكلنا وحضر النبيذ وشربنا وجاءني غلامي وقال: غلام ابي العباس بن الفرات بالباب يستدعيك. فادخلتهُ واجلستهُ معنا فأكل وشرب وقلت لهُ: عرّفهُ انني عند بعض اهلي بالجانب الغربي. فمضى ولم يبعد ان جاء غلام آخر يطلبني ففعلت بهِ كفعلي بالاول فانصرف. وقلت في نفسي: لَأنْ القى ابا العبّاس مُعتذراً من تأخر يوم عن خدمتهِ اولى من ان القاه مُعتذراً من مثل ذلك الذنب الكبير

فاقمت على جملتي بقيّة يومي وباكرتهُ من غدٍ فسألني عن سبب تأخري فاعلمتهُ كوني عند بعض اهلي بالجانب الغربي. ومضت ايّام وورد كتاب العامل الذي تلك الضيعة في عملهِ وفي درجهِ حَزْر الغلّة وقد نُسبَ كل بيدر الى مقاسمتهِ وعلى مثل هذا كانت الحزور تَردُ. فقرأهُ ابو العباس على رسمهِ حرفاً حرفاً ووجد قد حُكيَ تحت اسم بيدر من البيادر ممّا ورد الكتاب بنقلهِ من مقاسمة كذا الى مقاسمة كذا. فلمّا قرأهُ اختلط وانكر ذلك وقال: ما اذكره ومتى امرنا بنقل المقاسمات الثقيلة الى المقاسمات الخفيفة؟ واستدعى ابا عبد الله اخي وتقدّم اليهِ بان يكتب الى العامل بانكارهِ ما وقف عليه من الحكاية التي حكاها في الحزر وبردّ الكتاب الذي وصل اليهِ في هذا المعنى بعينهِ. فكتب ذلك ومضت ايّام فلم اشعر وانا بحضرته الّا بكتاب العامل قد ورد جواباً عمّا كوتب وفي درجهِ الكتاب الذي طُلب منهُ. وقرأهُ ابو العباس بن الفرات واقبل يدفعهُ

الى واحدٍ واحدٍ من الكتّاب الذين في مجلسهِ ويسألهُ عن صاحب خطهِ. ثم دفعهُ اليَّ فلما قرأتهُ ذكرتُ اسم البيدر وقلت في نفسي: ايُّ شيءٍ كان اسوأ حالاً مني لو كان يخطي وقد ورد في مثل هذا المجلس الحافل. ولم يعرف احد من الحاضرين الخطّ. وسلّمهُ الى احمد بن يزيد المدير وقال لهُ: امضِ بهِ الى الديوان وخذ خطوط اصحاب المجالس وخلفائهم بما عندهم من العلم بهِ وجئني بنسخته اذا وجدتها من مواضعها

(قال) وسبق الخبر الى الكتّاب وقد كان الرجل صاحب البيدر برَّهم بجملةٍ حتى اثبتوهُ عندهم فما منهم الّا من قطعهُ واخرجهُ من شكّ الورق ورمى بهِ في المستراح او اعطاهُ غلامهُ حتى اخرجهُ من الديوان وخبأهُ في خفهِ او تحت الارض. ولمّا دار عليهم ابن يزيد انكروا وجحدوا ما فيهِ من علاماتهم وخطوطهم فاخذ خطوطهم على ظهر الكتاب بما ذكروهُ وجاء بهِ الى ابي العباس. ونحن في تلك الحال اذ جاءت اليهِ رقعة من متنصحٍ يذكر فيهِ اسم الرجل الذي كتب الكتاب وموضع منزلهِ فدعا ابو العباس العباسَ الفرغاني حاجبهُ وامرهُ بكبس الدار وطلب الرجل فان وجدهُ احضرهُ وان لم يجدهُ انهب كل ما فيها. فمضى ومعهُ ثلثون راجلاً فكبس الدار ولم يظفر بالرجل فنهب الرجّالة والاتباع ما كان فيها وعرف الرجل الخبر فاستتر مدةً ثم خرج الى الموصل هاربًا ولم يزل مقيمًا بها الى ان مات ابو العباس. فحمدت الله وشكرتهُ على ما وفّقني لهُ وخلّصني منهُ وعلمت انهُ لا شيء انفع من الصحة ولا اجلّ من الامانة. انتهى

ونحن نقف عند هذا الحدّ مكتفين بنقل ما سبق من تاريخ الوزراء. وفيهِ كفاية لتعريف فضلهِ ومقام صاحبهِ من الكتابة

قدمية الكلدان في حلب

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

كان يُظن ان الكلدان حديثو العهد في الشهباء وان كنيستهم الحالية التي شيّدها الطيب الذكر الخوري بطرس رسّام بمحلة العزيزيّة هي اوّل كنيسة أُقيمت للكلدان في هذه المدينة حتى عثرتُ على شواهد اكدت لي الخلاف وظهر منها واضحًا انهُ كان للكلدان طائفة في حلب على الاقل منذ سنة ١٦٢٧ مسيحيّة وكان لهم كنيسة خاصّة بهم وكهنة يخدمونهم

واوّل ما هداني الى ذلك كتاب قديم مكتوب في اواسط القرن الثامن عشر وهو معجم كلداني عربي قد صار الآن في ملك المسيو يونيون قنصل دولة فرنسة في حلب مخطوط « بيد القس يعقوب الكلداني بحلب » كما يستدل من الحاشية التي في ذيله — ففي اول الامر لدى اطلاعي على هذا الأثر ظننت ان احد قسوس الكلدان وُجد بطريق الصدفة في الشهباء وكتبهُ ثم باعهُ او فقدهُ او مات وتركهُ فيها حتى وصل ليد مالكه. الّا انهُ لمّا ظهر كتاب القس شمونيل جميل المحترم (١ وجدت في عريضة رفعها البطريرك يوسف الثالث الى مجمع انتشار الايمان وهو في رومية يقول بانهُ في سنة ١٧٢٣ نال فرماناً موقعاً باسم السلطان (محمود) فيهِ يسترف رئاسته ليس فقط على كلدان ديار بكر وماردين والموصل كما في فرمان اوّل بل زاد فوقها ايضاً مدينة حلب واباح لهُ ان يتولّى على كل الكنائس التي فيها ويأمرهم بالطاعة لهُ (ص ٣٢٣) — وفي سنة ١٧٢٩ اذ كان محبوساً في الموصل بوشي خصمه البطريرك النسطوري سعى اولادهُ الكاثوليك في ديار بكر فخلصوه من السجن بواسطة اوامر ثلاثة نالوها من لدن السلطان بتاريخ ١١٤٢ هجريّة (١٧٢٩ م) مضمونها الاتّفاق مع البطريرك النسطوري بحيث ان هذا يتولّى شؤون الكلدان في الموصل وحلب وتبقى ديار بكر وماردين للبطريرك يوسف الثالث (ص ٣٢٧)

فاستنتجت من ذلك ان القس يعقوب المذكور لم يكن في الشهباء على سبيل الاتفاق بل كان خادماً للكلدان المقيمين فيها فاخذتني الحميَّة على ان ازيد في التنقيب لعلّي اقف على شيء من احوال هذه الطائفة في هذه المدينة فاسعدني الحظّ على ان اجد في سجلات حضرة الآباء الفرنسيّين وفي كتاب الكشف عن الاراضي المقدَّسة للاب فرنسيس كوازميوس الفرنسيّ ما هذا نصّهُ:

في مقدّمة المجلد الاول من كتاب الكشف المذكور (ص ١٠) قد سُطِرت ترجمة كوازميوس الموحى اليه وفيها يقول المؤلف: ثم ان البابا اوربانوس الثامن ارسلهُ (اي الاب فرنسيس كوازميوس) قاصداً رسوليّاً الى الكلدان في سوريّة مع السلطة الخصوصيّة

١) اعني كتاب العلاقات الرسمية بين الكلدان والكرسي الرسولي (راجع المشرق ٥: ٦٥٦ و ١١١٥)

بان يعزل بطريرك الكلدان عن وظيفته. ثم تعيّن معتمدًا رسوليًا في ما بين النهرين للنساطرة واذ كان مقلّدًا بهذه الوظائف باشر اسفارًا طويلة صعبة وطاف نواحي سوريّة الواسعة... فمن رسالة كتبها الاب فرنسيس كوارزميوس المذكور من مدينة حلب في سوريّة الى مجمع انتشار الايمان في رومية نستدلّ على بعض ما عملهُ هنـاك في سبيل الايمان لاجل استئصال اضاليل الكلدان في ما يخص تقديس جسد المسيح وتوزيعهُ ومباشرة سرّ المعمودية قال: «وجدتُ صورة تقديس جسد الرب المستعملة عند هؤلاء الكلدان ناقصة ومفسودة فانهم لا يهملون فقط لفظة «لانهُ» (enim) وإن لم تكن ضروريّة لصحة السرّ بل ايضًا لفظة «هذا» (hoc) (من قول الرب «هذا هو جسدي») الجوهريّة (١ ولذلك فانا بيدي حذفتُ من كتاب رتبة قداسهم تلك الصورة وسعيتُ بان تُكتب عوضها الصورة التي رسمها المسيح برمّتها حسب الترجمة الموجودة في رتبة قداس الموارنة المطبوعة والمنتحة في رومية والزمتهم بامر خصوصي ان يستعملوها بلا تغيير. ولكي يُحفظ ذلك بكل تدقيق ندبتُ كاهنًا عالمًا وفطنًا من كهنة الموارنة لكي يحضر ذبائحهم في كنيسة الكلدان المذكورة آنفًا في حلب لكي اتحقق أيستعملون الصورة القديمة والملغاة ام الجديدة والصحيحة. فاخبرني بانهم محافظون على الامر بكل امانة. ثم اطلعتُ على ان الكلدان المذكورين يعجنون الخبز المعدّ للتقديس بزيت وملح وبنوع من التابل يسمونهُ بلغتهم («مَلكا») ولا يخبزونهُ بالتمام حتى انك تخالهُ عجينًا لا خبزًا

امّا ما يختص بتوزيع هذا السرّ الجليل فوجدت انهم يعطونهُ للاطفال ويناولون الشامسة الانجيلية على الشكلين فاستئصالًا لهـذه العوائد الذميمة امرتُهم بصرامة استنادًا الى السلطان المعطى لي من الكرسي الرسولي ان لا يجسروا بعد ان يضعوا هذه الامتزاجات او غيرها من المواد في الخبز المهيَّأ للتقديس وطلبت ان يحضروا امامي ما يسمونهُ «مَلكا» فاخذتهُ ورميتهُ في النار كما اني امرتهم ايضًا ان يخبزوا بنوع احسن القرص لتكون مادة كفوءة للذبيحة غير الدمويّة وان لا يقبلوا الاطفـال على المائدة المقدَّسة ولا تُعطى مناولة الكاس لغير الكاهن المقدّس»

---

١) لا نقدر ان نتهم حقيقة ما يقوله هنا الاب كوارزميوس لانا لم نر حتى الآن لا في الكتب ولا عند النساطرة الحاليين صورة التقديس محرَّفة بهذا النوع الشنيع.

وفي اسفل الوجه يضع المؤلف هذه الحاشية: « في الرسالة عينها تُذكر صورة المعمودية المشبوهة المستعملة عند الكلدان فانهم عوض كلمة « أعتمد » كانوا يستعملون الكلمة الكلدانية « عامذ » التي لها معنى الماضي اي قد تعمّد ولها معنى الامر اي فليتعمّد. ففي هذا الخصوص يعرض الاب كوارزميوس على مجمع انتشار الايمان بان لا يُكرَهَ الكلدانُ على ان يغيّروا شيئاً فان ذلك مما يضجرهم بل ان يقنعوهم بأن يستعملوا لفظة (عامذ) بالمعنى الثاني ». انتهى

وفي الصفحة ٨٧ من المجلد عينه يقول الاب كوارزميوس: « كنت اقدر ان اورد اموراً كثيرة عن طقوس واعتقادات الكلدان بما اني قد تعبت مدة ثلاث سنين في ارتدادهم وخلاصهم الروحي في مدينة حلب وفي ما بين النهرين ولهـذا فبقدر ما سنحت لي الفرصة اجتهدت ان اطّلع على احوالهم لكني اكفُّ عن ذلك الآن فاني قد كتبت بحثاً كاملاً عنهم مفيداً لرجوعهم الى الاتحاد بالكنيسة المقدّسة بعونه تعالى » (١

ونتأكد صحة ما يقولهُ الاب المذكور من شهادة وجدناها في سجل الآباء الفرنسيّين هنا يظهر منهـا ان الكلدان النساطرة في حلب قد رجعوا الى حضن الكنيسة الكاثوليكيّة في زمان هذا الاب وعلى يده وهاك نصها: « في ١٧ آب ١٦٢٧ القس شمعون الآمدي خوري طائفة الكلدان قرّر صورة ايمانه عن نفسه وعن طائفته القاطنة في حلب امامي انا الراهب فرنسيس كوارزميوس المعتمد الرسولي كما مرَّ في حضور رهبان هذا المحلّ وتجار وغيرهم كما يظهر من الكتابة المصنوعة في هذا الشان المحفوظة في خزانة هذا المحل المخصص لحبل مريم ام الله البريّ من الدنس » انتهى

امّا ما كان عليه هؤلاء الكلدان في حلب قبـل هذا العهد اعني قبل اتحادهم بالكثلكة فلا نعلم شيئاً كما نجهل اين كانت كنيستهم المنوَّه عنها وماذا صار فيهـا وكيف اندثرت هذه الطائفة في هذه المدينة قبل ان يُجمَع شتاتُها منذ زمن قريب

---

١) لسوء الحظ لم يصل الينا هذا البحث فربما كنّا نستفيد منهُ شيئاً في ما نحن بصدده فاني قد فتشت مكتبة الآباء الفرنسيّين هنا في حلب حيث ألفهُ الاب كوارزميوس فلم اعثر لهُ على ذكر

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تابع الفصل التاسع)

وما انهى طيطس حديثهُ حتى جاءهُ بريد من متولّي الكتيبة العاشرة على جبل الزيتون يطلب اليه بان يُسرع الى خلاصهِ على جناح السرعة لانَّ العدوَّ باغتهم فكادوا يولّون الادبار. فتطاير امير الجيش الى ساحة الوغى بعد ان اوصى الطبيب بالضابط راسيوس

وهو في طريقهِ اذ سمع صاصلة الاسلحة واصطكاك الصوارم وغمغمة الابطال ورأى الهاربين من جندهِ فردَّهم على وجوههم ثم حمل حملةً صادقة على العدوّ ففلَّ نظامهُ. واذ رأى الرومان قائدهم على جوادهِ ومعهُ فرسان صناديد بل أسود قساوز عادوا الى صفوفهم وابلوا البلاء الحسن حتى فرَّ المادون من وجههم ورجعوا على اعقابهم ليتستَّروا وراء اسوارهم الحصينة بعد ان وقع منهم عدد غفير في حومة القتال عند لحف جبل الزيتون

فعرف الرومان بعد هاتين الواقعتين انَّ دون فتح اورشليم عقبات لم تخطر لهم على بالٍ وانَّ العدوَّ لن يرضى بالخروج عن وطنهِ الّا بعد اللتيَّا والتي فتأهَّبوا لحصار المدينة على طريقة نظاميَّة وهم مصمّمون النيَّة على فتحها عنوةً او قتل اهلها بالمجاعة. امَّا اهل اورشليم فأنَّهم عدُّوا خروج جنودهم كنوز باهر وانتصار عظيم على الرومان وتحمَّسوا لردّ غاراتهم صارخين انَّ الله سيظفرهم برومية وملوكها.

وفي صباح اليوم التالي قسم طيطس جيشهُ قسمين قسمٌ منهما وكل اليهِ اشغال الحصار امَّا القسم الآخر فكانوا الفرسان والجنود امرهم ان يبقوا شاكي السلاح في أهبة المقاتلة او الدفاع

فما مرَّ على الرومان اربعة أيام حتى مهّدوا سُبُل الحصار وازالوا السياج ودرّوا التربة وحطَّموا الصخور الواقعة في وجه العدو. ولمَّا كان اليوم الخامس امر طيطس جيشهُ بان يضيّق على خناق البلدة فحوَّل معسكرهُ الاوَّل الذي كان على جبل سكوپوس الى معسكرٍ ثانٍ لا يبعد موقعهُ عن المدينة سوى غلوتين (٣٧٠ مترًا) وجعلوا يحفرون هناك خندقًا جديدًا

امّا اليهود فكانوا ينظرون من علوّ اسوارهم الى الرومان نظر المحتقر المزدري فيضحكون منهم ويشتمونهم ويرون انّهم كأقزام بازاء الجبابرة فهيهات ان يقووا على فتح مدينة اسوارها تعلو ٢٥ ذراعاً وتحميها ١٦٤ برجاً

الّا انّ فرح اليهود لم يلبث ان ترنّقت كاسهُ وتكدّر صفاؤهُ فلمّا كان اليوم السابع من شهر آذار اعني الجمعة التابعة لبدء الحصار احتفلت اورشليم بعيد الفطير وهو الفصح. فكان يُسمع لاهاليها ضوضاء وجلبة كأنها الخليّة تزدحم في اكوارها النحل. وكان الحرّاس وحفظة الاسوار نسوا الرومان وعساكرهم وهم لا يكترثون لامرهم كي يرشفوا كاس الهناء مع اخوانهم. وكان اليعازر وقف نفسهُ لخدمة الجمهور ليقبل منهم الذبائح والتقادم فصارت الجموع تتقاطر اليه. فاستاء حنّا دي جسقالة (الجشي) لمّا عاين نفوذ خصمهِ اليعازر فجمع فرقتهُ ودخل الهيكل وجعل يقاتلهُ ويقتل من يأتيهِ بالضحايا فثار القوم في هياط ومياط. لا يُسمع في ساحة الهيكل الّا صوت: اقتلوا! لا تعفوا عن احد!

وبلغ الرومان صخب اصوات اليهود وهم لا يدركوا سبب الثورة الّا انّ بعض اهل اورشليم تمكّنوا من الفرار من المدينة فجاؤوا الى طيطس يطلبون منهُ الامان فأعلموهُ بما حلّ في قومهم من الشغب والفتنة. فعرف الرومان انّ اعظم مساعدٍ لهم على فتح اورشليم ما يغلي في قلوب ذوي الاحزاب من مراجل الضغائن والاحقاد فما عليهم الّا ان يصبروا قليلاً فيأكل اليهود بعضهم بعضاً كذئاب خاطفة ثم تأتي المجاعة فتفني ما نجا من السيف

*

وان عدنا بالنظر الى مضرب طيطس رأينا هناك مضطجعاً على فراش الاوجاع ذاك الضابط الشهم الذي خاطر بنفسهِ ليخلّص امير العسكر من المنون ألا وهو راسيوس فانهُ بعد ان افاق من اغماء حواسّهِ رأى الموت يرفّ فوق رأسهِ وبيدهِ منجلهُ القاطع ليصرم خيط حياتهِ

فكنت تراهُ شاحب اللون مصفرّ الوجه غائر العينين يُسمع لهُ زفير اشبه بحشرجة الميت لا يشكّ من يدخل عليهِ انهُ على قاب قوس من الموت

فليت شعري أهذا هو الضابط الزاهي الجمال المتوقد العينين ذو البزّة الفاخرة الذي

كانت مياه الحياة تتدفق من جبينهِ قبل يومين . . . ها هو ذا طريح جريح يتململ فوق فراش الاوجاع . . . كان يوم امس لا يفكر الَّا في المجد واكاليل الغار والفوز بفتاةٍ غنيَّة يقرن بها حياتهُ في الهناء والرغد . . . واليوم قد خيَّم فوق هامتهِ رواق المنيَّة يحتسي سكراتها . فطوراً تقوى عليهِ الحمَّى فتنهك قواهُ وطوراً يغلب على لسانهِ الهذيان فيذكر في لفظهِ رومة وابنة صموئيل ونصارى صيداء . . وحيناً يطلب قليلاً من الماء يبرّد بهِ غليلهُ ثم يكرّر انينهُ كانهُ يُفيظ نفسهُ

وكان قرب فراش راسيوس صديقهُ لاونطيوس الضابط الذي مع رغبتهِ في مقاتلة العدوّ احبَّ ان يبذل نفسهُ في خدمة المريض فكان يهتمّ بشؤونهِ ويقوم بامرهِ كأنَّهُ امٌّ حنون تعطف على ولدها الوحيد

وكان لاونطيوس يفرغ كنانة جهدهِ في تخفيف آلام صديقهِ واذا أنس منهُ ساعة هدوٍ وراحة وجَّه اليهِ كلاماً اعذب من الشهد وخاطبهُ بما يقع لديهِ موقع الحظوى ثمَّ اخذ يذكّرهُ بالالاه الذي يجازي الانسان عن تضحية نفسهِ في سبيل الواجب . لكنَّ راسيوس كان يستدعي الموت وهو لا يبالي بما يأتي وراء القبر فكان يوصي صديقهُ اذا حان حَينُهُ ان يجعل في ضريحهِ سيفهُ ويضع عند راسهِ حُقَّة فيها غُصن من الزيتون على شقَّة من الحرير . فالسيف يؤنسهُ في لحدهِ وغصن الزيتون يبرّد لظى حبهِ نحو فتاةٍ لم يعرف منها غير ابتسامةٍ أَسرت قلبهُ . . . اماً نفسهُ فما كان راسيوس ليفكّر في امر خلودها ولا يدري ما سيلحق بها . . .

الَّا انَّ الاوجاع كانت في الغالب تضرب في دماغ راسيوس فتتراءى لهُ مناظر مخيفة وتحوم حولهُ اشباح مرهبة يطير لرؤيتها قلبهُ شعاعاً فيستغيث بالحضور : « ألا أجهزوا عليَّ لعلَّني انجو من هؤلاء الأعلاج الذين اقتحموا عليَّ » ورُبَّما كان ينتصب واقفاً وهو يطلب سيفهُ ليردّ كيدهم في نحرهم

وكان لاونطيوس يضمّ المريض بين ذراعيهِ ويخمد روعهُ ويبلّ جبينهُ بالماء البارد ريثما يسكن بلبالهُ ويهدأ جزعهُ . فكانت اذ ذاك تتغيَّر افكار راسيوس وينظر حولهُ نظر متحيّر ثم يقول لصديقهِ : دَعني وحقّ راسك ارجع الى بيروت فانَّها في انتظاري »

وبقي الضابط المسكين على هذه الحالة اسبوعاً كاملاً وهو على آخر رمق بين الحياة والموت . وكان الغالب على ظن الذين يعودونهُ انهُ لا يلبث ان يستوفي حظَّهُ من الحياة .

وكان قدماء الضبّاط يتعجبون انهُ لم يَقضِ انفاسهُ بعد ما اصابهُ من الجراح وبعد انخلاع كتفهِ ودخول شفرةٍ بطول الاصبع في صدرهِ فيصرخون: «لا لعمري ولو مرَّضهُ اله الطب اسكولاب لما نجا من هذه البليّة . . . أنا نأسف على غُصن شبابهِ تهتصرهُ المنيَّة وهو في نضارتهِ الزاهية يوم بلغ خبرهُ طيطس فاراد ان يكافئه بالمناصب الرفيعة والامتيازات الشرفيَّة !»

امَّا الطبيب الذي كان وعد طيطس بالَّا يدع وسيلةً لخلاص راسيوس دون ان يتوسَّل بها فانهُ كان يرجو على خلاف الرجاء. وكان يؤيد أملهُ ما وجد في جسم الضابط بعد جسّهِ من شدَّة البنية وحسن المزاج واعتدال الاعضاء. فكان يقول لمن يسترف اخبار المريض: «انهُ سالم لا محالة لانَّ في دمهِ قوَّةً عجيبة لم تضعفها قطّ الخلاعة ولم تضعضعها العيشة المتهتكة ومن لم يغلبهُ فساد القلب قوي على ما لم يقوَ عليهِ غيرهُ »

وكان لاونطيوس ايضاً لمَّا نظر لاوَّل وهلة ما جرى لراسيوس حسب انهُ تالفٌ ولا بدَّ من الاستسلام الى مشيئة الرحمان والرضى بفراق صديقهِ الحميم.. وممَّا كان يعزّيهِ في هذا المصاب انَّ الضابط المحتضر كان زكيَّ النفس طاهر الذيل لم يدنس عرضهُ بشيء من الآثام فلعلَّهُ ينال رحمةً بازاء منبر الديّان الذي لا يرذل ذوي النيَّة الصالحة . . . لكنَّهُ اذ رأى الطبيب عامراً بالآمال الطيّبة انتعشت امانيُّهُ ايضاً واخذ يُصلّي لشفاء صديقهِ . وكان يحسُّ في قلبهِ انَّ راسيوس ذو نيَّة قويمة اذا ما رأى يوماً نور الحقيقة يتّبعهُ ولا يأبى ان يهتدي الى ديانة المسيح على مثالهِ

وهذا ما حمل لاونطيوس ان يمرّض المريض ليلاً مع نهار ويؤدي لهُ كل الخدم. وكثيراً ما كان يجثو على قدميهِ راكعاً عند فراش صديقهِ اذ يرى آلامهُ تشتدُّ حتى تكاد تذهب بحياتهِ فيطلب الى الله ان يحنَّ على هذا اللهيف المسكين ويصونهُ ممَّا ألمَّ بهِ من البلاء والمحن باستحقاقات ابنهِ الوحيد واحزان البتول الطاهرة سيّدة الاوجاع

فكانت الصلاة تزيد لاونطيوس رجاء وتسندهُ في ايثارهِ وتفاني نفسهِ في خدمة صديقهِ مدَّة عشرة أيام بلا انقطاع. فلمَّا كان فجر اليوم العاشر لمح لاونطيوس انَّ اوجاع راسيوس تلطَّفت قليلاً وان الحمَّى خمدت وخفَّ هذيان المريض. ثم نظر الى وجههِ واذا بحمرة خفيفة لوَّنت وجناتهِ وكان يُسمع صوتُ نَفَسهِ منتظماً ليّناً وما عتَّم أن غفي فنام نوماً هادئاً لم تذقهُ عيناهُ منذ يوم جراحهِ

فاستبشر المريض بعلائم الخير وشكر الله على بارقة الامل الذي لاح لهُ في نجاة صديقهِ . وبينا هو كذلك اذ ازال الطبيب سجوف الخيمة فارتعش لاونطيوس واشار الى الداخل ان « على رسلك وأيّاك ان تنبهَهُ » . . فما رأى الطبيب النائم حتى صرخ مبتهجًا : « لقد نجا . . الم اصدقكم القول بانهُ لن يموت . . . فقد صحّت نبوّتي »

ثم اقترب من المريض ليفحصهُ عن كثب . امَّا لاونطيوس فأثّر فيهِ قول الطبيب ايَّ تأثير حتى شعر بالبكاء يخنقهُ من فرحهِ الَّا انهُ اظهر الجلد واكتفى بان يقدّم للرب صلاةً حارةً من صميم فؤادهِ اذ تنازل وابرأ صديقهُ كما كان يبرئ الاسقام عند اجتيازهِ في اصقاع الجليل

وبقي داسيوس في نومهِ ساعات ثم انتبه واجاز يدهُ على جبينهِ كأنهُ يريد ينحي عنهُ كابوسًا ضغط صدرهُ . وهمَّ بان يقوم من فراشه الَّا انَّ هذه الحركة آذتهُ فصرخ : «آه . . . ويلي لم تشفَ بعد جراحي »

ثم اخذ يقصُّ على لاونطيوس انهُ تراءى لهُ في نومهِ طبيبٌ لم يعرفه وجعل يدهُ على جراحهِ فبرئت للحال . . . ولكن اذ افاق الآن عرف انَّ هذا الحلمَ لا صحّة له

فقال له لاونطيوس : لا تقُل انهُ حلم . . . وهاك قد نجوتَ من موت أكيد بعد ان كنت في صباح هذا النهار تقرئني كلام الوداع . . . قد عادك الطبيب منذ ثلاث ساعات فبشَّ فرحًا واستبشر ببُرْئك . . . فعليك بالصبر أيَّامًا قليلة وتشفى تمامًا ان شاء الله فتعود الى العدوّ وتدرك منهُ ثأرك

فلمَّا سمع داسيوس باسم الحرب عبس وجهه فقال : اني كنتُ ذاهلًا عن امر الحرب فقُل لي يا صاح وماذا جرى لجنودنا مع اليهود

قال لاونطيوس : اني لا ادري من احوال الحرب الَّا النزر القليل لاني لم أكد اخرج من هذه الخيمة منذ ادركتكَ سهام العدوّ . مع انّي لا اشكُّ في انَّ المدينة على اسوإ حال وانَّ اهلها يذوقون الامرَّين

ثم لحظ لاونطيوس انَّ اخبار الحرب ترّعج المريض فسكت وقام الى مدخل الخيمة فرفع السجوف الصفيقة التي كانت تحجب عنها النور واذا باشعَّة الشمس الطالعة نفذت في المضرب وبلغت فراش المريض . فبهرت عيناهُ لدى هذا المنظر وهو لم يرَ الشمس منذ عشرٍ فغمَّض عينيهِ ثم فتحهما بعد هنيهةٍ وسُرَّ بهذه الانوار البهجة

التي كانت لهُ بمثابة حياةٍ جديدة دبّت في اعضائه. ثم احس ايضاً بنسيم عليل مرَّ على رأسهِ وهو معطَّر بشذا زهور الربيع فاستنشقهُ بتلذُّذ فيه وشعر بانَّ قواهُ لا تلبث ان تنتعش ثانيةً في جسمهِ

*

اما الجيش الروماني فانَّ الحميَّة كانت استفزَّتهُ فلا ينيُّ ليلاً مع نهار في تضييق نطاق الحصار على اورشليم وكان طيطس ملأ قلوب جنده همَّةً ونشاطاً يتنقَّل من فئة الى أُخرى فيحمّس الجميع بمثاله ويشارك العملة في مهنتهم بحيث اضحوا لا يشكُّون في الفوز القريب رغماً عمَّا يحول دونهم من المصاعب الجمَّة

والحقّ يقال انَّ قائدًا غير طيطس لم يكن ليقدم على مثل هذا العمل. اذ انَّ اورشليم كانت مدينة حصينة لا تُنال. فانها كانت مبنيَّة على صخر يمتدُّ كجبل منيع بين واديين عميقين وادي هنُّوم ووادي قدرون فلا يقوى عدوٌ على ثلاث من جهاتها اعني شرقها وغربها وجنوبها. فلم يبقَ سوى جهتها الشماليَّة على مسافة سبع او ثماني غلوات (نحو كيلومتر ونصف) يمكن الرومان ان يدخلوا منها الى تلك العاصمة

فترى من ثمَّ انَّ الحصار كان مقصورًا على الشمال الّا انَّ اليهود كانوا جعلوا مدينتهم من تلك الجهة غايةً في الحرازة والمناعة فانَّ اسوارها كانت تبلغ ٢٥ ذراعاً علوًا في سمك ١٢ ذراعاً يحميها تسعون برجاً فلو حاول الرومان ان يتسلَّقوا هذه الاسوار لما صعب على اليهود ان يردُّوهم خاسرين

ومن ثمَّ كان ينبغي على طيطس ان يضرب الاسوار بالكبوش والمجانيق ليفتح لجيشهِ مجازًا فيدخل الى حيّ « بزيتا » .

وان فُرض ان الرومان تجاوزوا هذا السور لما تُقضي الامر فانَّ اعداءهم كانوا اقاموا سورًا ثانيًا من ورائهِ يلتجئ اليهِ اهل بزيتا فيباشرون دفاعاً جديدًا عن المدينة في حيّ « أكرا » في لحف التلّ المبني عليهِ الهيكل

وكان لا بُدَّ للرومان من بعد ذلك ان يحاربوا قلعة انطونيا الشديدة المبنيَّة شمالي شرقيّ الهيكل وهي عبارة عن مربَّع مُصمت علوُّهُ اربعون ذراعاً بُني فوق صخر يعلو الحضيض خمسين ذراعاً. وكانت جوانب القلعة صقيلة كالمرآة فتنزَّهت حصانةً ان تُرام

ولو تمكَّن طيطس من هذه ثالثة الأثافي لما انتهى فتح اورشليم فانَّ هناك الهيكل

وهو حصن حصين مبنيّ فوق جبل موريا تُحدق به الصخور العالية والجدران المتينة

وبعد فتح الهيكل ونصب العُقبان الرومانيّة على اجنحتهِ كان يبقى للرومان مدينة أُخرى وهي جبل صهيون ومدينة داود غربيّ الهيكل ليس بينهما الّا وادي التيروبيون. وكانت صهيون قلعة بائنة الارتفاع محصَّنة لا تستطاع امامها ثلاثة بروج هائلة لا يُطمع في مُداناتها

تلك كانت العَضَلات التي تنتظر الرومان في حصار اورشليم. الّا انَّ طيطس كان واثقًا بالظفر. فبعد ان حفر الرومان خندقًا واسعًا يفصل به جيشهُ عن العدوّ ويردّ به غاراتهم اذا ما حاولوا الخروج من المدينة شرعوا في توثير الارض وتهيئة اللوازم لمقاومة الاسوار فكانوا يقلعون جذور الشجر ويكوّمون الاغصان ويعبّون اكياس التراب والرمل بعدد لا يُحصى

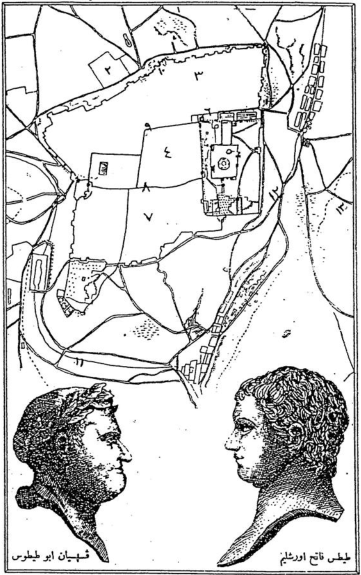
وكان اليهود من علوّ بروجهم يسخرون بالعملة وباعمالهم ويرصدونهم حتى اذا وجدوا منهم مضربًا رموهم بالسهام فقتلوهم. وربَّما كانوا يأخذوا قِددًا من الجلد فيكتبون عليها بحروف ضخمة شتائم وسبابًا تهيّج غضب الحاصرين

بيد انَّ الرومان كانوا يواصلون شغلهم بثبات لا يبالون بمُسابّات اليهود حتى اذا مرَّ عليهم ثلاثة او اربعة ايَّام كانت بازاء المدينة تلال مرصوصة جعلوا فوقها آلاتهم الحربيَّة. فادرك اليهود غاية الرومان واخذ الخوف يدبُّ في اجسامهم وكانوا يحاولون ان يمنعوا الشغل او يقتلوا العملة الّا انَّ طيطس كان اقام حرسًا للعملة يحمونهم بتروسهم الحديديَّة بحيث لا تنفذ فيها البتَّة قذائف اليهود

فلمَّا انجز الرومان هذه الاعمال الجليلة ركّزوا فيها المجانيق والكبوش وسائر ادوات الحرب جعلوا يدكُّون الاسوار دكًّا بينا كان القوّاسون يصوّبون سهامهم القتَّالة الى من يصعدون الى شرفاتها للمحاماة عنها

فلمَّا رأى العدوّ ما ينالهُ من شرّ هذه البروج الحربيَّة حاول اتلافها بالنار. ففي احدى الليالي فتح اليهود ابوابهم وهجموا عليها وصبُّوا على اسافلها القار والنفط واشعلوها بلمحة عين فما احسَّ بهم الرومان حتى انقضُّوا عليهم انقضاض العقبان ودحروهم وبدَّدوا شملهم ثم اسرعوا الى اطفاء الحريق فلم يجدوا المياه اللازمة لذلك فذهبت ادواتهم فريسة النيران

خارطة حصار اورشليم على عهد طيطس



طيطس فاتح اورشليم

ڤسپيان ابو طيطوس

١) جهة جبل سكوپوس واوّل معسكر طيطس = ٢) معسكر طيطس الثاني ٣) حيّ بزيتا
معسكر طيطس الثالث ٤) حيّ أكرا ٥) حرم الهيكل ٦) برج انطونيا ٧) جبل صهيون
٨ , ٩ , ١٠) الاسوار الثلاثة ١١) وادي هنّوم ١٢) وادي قدرون ١٣) جبل زيتون

لكنَّ الرومان لم يقنطوا لذلك بل عادوا مذ صباح اليوم الثاني الى العمل وبعد أيام قلائل اقاموا ادوات اصلب وامتن وحصَّنوها بما لا تعمل فيه النار

فرأى اليهود طرائق اخرى لمماكسة الرومان فانهم حفروا تحت الارض اسراباً ليدركوا ادوات المحاصرين من تحتها فيحرقوها واصحابها معها . غير انَّ الرومانَ سمعوا اصوات المعاول والفؤوس فلم ينتظروا مجيء العدوّ بل عمدوا ايضاً الى فتح الأنفاق لمقاتلة اليهود فتلاقى الفريقان تحت الارض وتضاربوا وتقاتلوا حتى الجأ الرومان اخصامهم الى الفرار

ودامت هذه اعمال الحصار الاعدادية شهراً ونيِّف . وفي ١٣ نيسان اخذت الكبوش تنطح بروؤسها الحديدية اسوار المدينة فتخربها حتى فتحت منها ثلمة واسعة في سحر اليوم الرابع عشر فدُقَّت الابواق واندفعت كتائب الرومان كالسيل الجحاف الى حيّ بزيتا فوجدوهُ فارغاً وقد هرب منهُ اليهود فاحتلُّوهُ وذلك سبعمائة وخمسين سنة بعد فتحهِ على يد سنحاريب ملك بابل

الّا انَّ الجنود الرومانيَّة لم ترضَ بهذا الفوز الاوَّل وانما باشرت في اليوم نفسهِ مساورة الخطّ الثاني وهو سور اكرا ليشتفوا من اعدائهم باقرب وقت ولئلّا يدعوا لليهود وقتاً فيزيدوا مدينتهم تحصيناً

وما مرَّ على ذلك خمسة أيام حتى فتحت المجانيق ثلماً آخر فتسوَّر الرومان الحائط ودخلوا حيَّ اكرا . الّا انَّ اصحابهُ كانوا تمنَّعوا في بيوتهم فجعلوا كلَّ دار من أدوُرهم كقلعة فنشبت الحرب بينهم وبين الجنود فكان الرومان يتقدَّمون قدماً قدماً لكثرة ما يلقون في الشوارع من العوائق فاضطُروا الى ان ينصبوا في الطرقات الحواجز ويحاصروا البيوت بيتاً بيتاً بينما كان اهل اورشليم يرمونهم بالقذائف ويرجمونهم بالحجارة او يصبُّوا على هامهم الزيت المغلي فكاد الرومان ان يتلفوا لولا انَّ طيطس وضبَّاطهُ كانوا يسندون قواهم ويحرّضونهم بالمواعيد . فاحرق الجنود قسماً من حارات اكرا وتتبَّعوا بالنبال الهاربين من الحريق . ودامت هذه الحرب العوان اربعة أيام كاملة دون ان يطلب اليهود الامان وهم يؤثرون الموت على الذلّ وعلى رؤية حاضرتهم في حالة الخراب . وبقي الحريق يلتهم المساكن ويُسمع من تحت الردم انين المنازعين واصوات الجرحى أياماً طويلة

ففاز الرومان فوزاً ثانياً بفتح حيّ اكرا الّا انَّ انتصارهم هذا ألحق بهم من الخسائر

ما كان بمثابة كسرة اذ سقط من جنودهم عدد لا يُحصى. فلما رأى الباقون بازائهم السور الثالث وهو يناطح الجوّ بعلوّهِ وتذكَّروا ما نالهم مدَّة شهرين من البلوى ارتكسوا على القنوط وكادوا ييأسون من فتح المدينة (ستأتي البقيَّة)

شذرات

المناجم المعدنيَّة في الدولة العليَّة يذكر القرَّاء فصلاً كتبناه في ذلك السنة الماضية (المشرق ٥: ٧٦٩–٧٧٧) واليوم قد وقفنا على قائمة رسميَّة تفيدنا عن عدد هذه المعادن وما يُستثمر منها. قد منح الباب العالي ١٦٩ فرمانًا لتعدين المناجم وانَّما يستثمر منها ٨٤ منجمًا فقط في جملتها ٢٣ من الكروم (chrôme) و١٧ من الرصاص المختلط بالفضَّة و١٢ من السنباذج و٧ من المنغنيا و٦ من النحاس و٦ من الفحم الحجري و٣ من الاثمد و٣ من البورق الخ واغنى الولايات بالمعادن ولاية بروسه فيها الحجارة الكريمة والذهب والرخام باجناسه والحُمَر والنحاس والزنجفر وغير ذلك

اطول سلك تليفوني قد تمَّ آخرًا اطول سلك تليفوني وهو السلك الممتدّ بين رومية وباريس طولهُ ١٥٩٣ كيلومترًا. ويأتي بعدهُ سلك برلين الى باريس يبلغ طولهُ ١١١٨ كيلومترًا

وقاية آنية الحديد من الصدإ اذا اردت ان تقي الآنية الحديديَّة من الصدإ فادهنها بزيت كتَّان ثم اجعلها على النار في الهواء — ويجوز ان تُغمس في مزيج من كلورور الحديد ثم تُجعل في الماء الحارّ وبعد تجفيفها تُمسح بشمع او بزيت كتَّان — ومنهم من يغمسها مدَّةً في مزيج من الزاج الازرق ثم في هيبوسلفات الصودا ممزوجًا بالحامض الكلوردريك فيغشاها طلاء ازرق واسود لا يعمل فيه الهواء ولا الماء

معامل الورق تبلغ معامل الورق في العالم ٣٠٨٥ معملاً تصدر في السنة ١,٤٥٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام من الورق ينفق منها اكثر من الربع (٣٨٥,٠٠٠,٠٠٠) في طبع الجرائد اعني ١١٠,٠٠٠,٠٠٠ بالزيادة عمَّا كان ينفق

قبل عشر سنوات. والانكليز يسبقون الامم كلها في كثرة استعمال الورق ويليهم الاميركان ثم الالمان ثم الفرنسيون

الجمعيَّة الفلسطينيَّة الروسيَّة — قرأنا في مجلة بسأريون. (١٩٠٣ ص ٤٤١) جدول اعمال الجمعيَّة الروسيَّة في فلسطين فاحببنا نقلها للقرَّاء. تتركَّب هذه الجمعيَّة من ٥١١٦ عضوًا يقسمون الى ٤٣ دائرة. ومن اعمال الجمعيَّة نقل الزوَّار مجانًا من روسيَّة الى الاراضي المقدَّسة وقد بلغ عددهم في السنة المنصرمة ٩٢٧٩ زائرًا. وللجمعيَّة مستشفيات في اورشليم وبيت جالا والناصرة ودمشق لكلّها اطبَّاء عادوا نحو ١٠٠,٠٠٠ مريض. ولها ايضًا مآوٍ للغرباء وقد باشرت في اورشليم ابتناء منزل يأوي اليه ١,٢٠٠ زائر. وكذلك في حيفاء اخذت في تشييد مأوى عظيم لزوَّار بلاد الجليل يُدعى باسم سيبرنسكي الذي يقوم بنفقاته. ومن اعمال الجمعيَّة الفلسطينيَّة ٦٧ مدرسة اربع منها في اليهوديَّة و١٨ في الجليل والباقي في سوريَّة ولبنان يدرس فيها نيِّف و ١٠,٠٠٠ ولد يُنفق على كل طالب معدَّلًا عشرون روبلًا. وللجمعيَّة ارزاق تثمَّن بنحو ١,٧٦٤,٠٠٠ روبل. واوَّل اعضائها الشرفيين غبطة السيِّد ملاطيوس بطريرك الروم الارثذكس على انطاكية

حلّ مشكل كتابي — جاء في سفر الخروج (٥:٥) انَّ فرعون امر مسخري بني اسرائيل ألا يعطوا لشعب اسرائيل تبنًا ليصنعوا اللَّبن للبناء بل يدعونهم يذهبون هم ويجمعون لهم التبن لذلك» . فاستغرب احد العلماء اسمهُ اكسون (Acheson) هذا الامر واحبَّ ان يعرف ما هو مفعول التبن في اللبن وما هو الداعي لاستعمالهِ في جَبلهِ فاخذ كميَّة من التبن واغلاهُ في الماء زمنًا طويلًا فاذا الماء صار احمر غامقًا فجبل الطين بهذا الماء فتحقَّق انَّ اللبن يزيد مرونة ولزوجة بحيث يَصلح لعدَّة امور صناعيَّة لا يصلح لهُ لولا ذلك. فحلَّل الماء الحمر بعد الغليان فاذا بالعامل في ذلك هو المادَّة الدبغيَّة (tanin) الداخلة في تركيب التبن. وبعد الاختبارات الجمَّة استدلَّ على انَّ الدبغ المذكور يزيد اللبن صلابة بنحو الخمسين في المئة اذا أنضج اللبن في النار ونحو ٣٥ في المئة اذا جُفّف في الشمس. وهذا الاكتشاف ممَّا يبيّن انَّ القدماء كانوا يعرفون عدَّة أشياء لا يزال الحدثون يجهلونها

الدكتور شيل — ذكر المقتطف في عددهِ الخامس من السنة

الجارية (ص ٣٦١) الدكتور شيل وتفسيرهُ لشرائع همورابي المكتشفة حديثًا في خرائب السوس (شوشن). وليس الدكتور شيل المذكور سوى حضرة الفاضل والعلّامة الأثريّ الجليل الاب شيل الدومنيكيّ الذي اجتاز في بيروت في غرّة الشهر الجاري وهو عائد من شوشن بعد ان اكتشف مع المسيو دي مورغان على آثار نفيسة يرتقي بعضها الى نحو خمسة آلاف سنة قبل المسيح. وقد انتدبت الحكومة الفرنسويّة الاب شيل الى تدريس اللغة البابليّة في مكتبها العلمي واثابتهُ على خدماتهِ المتعدّدة للعلم بوسام جوقة الشرف

﴿ الله والعلم ﴾ سرّنا ان المقتطف اثبت في عددهِ السادس من السنة الحاليّة (ص ٥٣٢) خطابًا «للورد كلفن اكبر علماء الانكليز حاضرًا» صرّح فيهِ «ان العلم الصحيح يقضي بوجود الخالق ويضطرّنا الى الايمان والثقة بقوّة مدبّرة بفاعلٍ وراء القوى الطبيعيّة والكهربائيّة . . . وانّ من لا يؤمن ايمانًا علميًّا راسخًا بوجود الخالق يضطرّ ان يؤمن بان الجواهر تجتمع من نفسها بالصدفة . . . مع استحالة ذلك» وختم خطابهُ بقولهِ: «انّ من يُعمل فكرتهُ مليًّا يضطرّهُ علمهُ الى الايمان بالله وهذا الايمان هو اساس الدين فيجد العلم عونًا للدين». وهذه لعمري شهادة جميلة على ما قرّرناهُ مرارًا في المشرق ردًّا على المقتطف نفسهِ وعلى الهلال وغيرهما فبيّنّا انّ الدين والعلم اخوان ليس مناقضة بينهما البتّة كما يزعم الزاعمون

مطبوعات شرقية جديدة

بحث
في المردة والجراجمة

قد تعدّدت المقالات منذ يوم كتب المشرق في اثناء ابحاثهِ عن آثار لبنان فصولًا في المردة والجراجمة فجاراهُ قوم من كتبة الموارنة الافاضل وخاضوا هذا البحث البعض لهُ والبعض عليهِ. وممّا كُتب من هذا القبيل كرّاسة حديثة لم يُذكر اسم مؤلّفها تحت عنوان «بحث في المردة والجراجمة والموارنة» فاطّلعنا عليها بتروٍّ وراعنا ما اظهرهُ صاحبها من دقّة النظر في انتقاد ما كتبهُ حضرة الابوين هـ. لامنس والعلّامة انستاس

الكرملي. والمؤلف حفظهُ الله يجري في بحثه مجرى العلماء من حيث آداب المناقشة وحسن الظنّ براي غيره وطلب الحقّ ما يزيد القرّاء ثقةً بقوله. فنثني الثناء الطيّب على همّة الكاتب البارع وسعة علمه رغمًا عمّا بين الكاتبين وبيننا من الاختلاف في الآراء عن الجراجمة وعن احتلال الموارنة في كسروان قبل القرن الخامس عشر اللهمّ الّا مسألة الموارنة والمردة فانّ حضرتهُ يتّفق مع حضرة الاب لامنس على التمييز بين الأمّتين ولولا نفورنا من تكرار البحث في هذه المسائل الجداليّة لأبدينا الرأي في بعض حجج المؤلف وأدلّته

Etudes sur les origines du christianisme
par l'abbé P. Pocy, *Desclée et de Brouwer, Paris*, XI-640 pp.

ابحاث في اصول النصرانية

قد تكاثرت التآليف التي وضعها العلماء في اصول النصرانيّة حتى بلغ مجموعها المئات بيد انّ الطلبة لا يستطيعون مراجعة المصنّفات المطوّلة فلا ندحة لهم من كتاب مدرسيّ يجدون فيه خلاصة مكتشفات العلماء من هذا القبيل على اسلوب سهل وطريقة بيّنة يمكنهم الرجوع اليه في معضلاتهم. وهذا ما اراده الابيل «پوِه» بوضعه هذا الكتاب وقد ضمّنهُ جلَّ الابحاث التي يحتاج اليها الدارسون لمعرفة اصول النصرانيّة كبيان انتشار النصرانيّة على عهد الرسل وخلفائهم وتعريف نظام الكنيسة وآدابها وكتبتها مع وصف عادات النصارى الاوّلين في دينهم ودنياهم وعيشتهم الخاصّة ومعاملاتهم مع الوثنيين فضلًا عمّا بقي الى يومنا من آثارهم في دياميس رومية والمخطوطات القديمة وكتابات الوثنيين انفسهم. هذا ونثني على حسن تقسيم الكتاب وسلاسة انشائه. مع أنّنا نقرّ ان في اثنائه امورًا لا يسلّم بها العلماء كقوله مثلًا (ص ٣٩) ان قائد المئة قرنيليوس الذي عمّده القديس بطرس كان من أسرة «كرنيليا» الشريفة. وكذلك وجدنا اغلاطًا عديدة في النصوص اليونانيّة التي اثبتها في ذيل الكتاب الاب بترس

١ ابدالونيم ملك صيدون — رواية ذات خمسة فصول

٢ لويس دي غونزاغا — رواية تاريخيّة شعريّة

للاديب الفاضل يوسف شبلي ابي سليمان مدرّس البيان في كليّة القديس يوسف

هما روايتان نفيستان يحسن تمثيلهما في مدارس الاحداث. والاولى منهما تاريخيّة

نثريَّة يتخلَّلها شعر اقترحها على كاتبها احد الآباء اليسوعيين فمُثلت لأوَّل مرَّة في كليَّة القديس يوسف بنجاح عظيم قبل سنتين ومدارها على تنصيب الاسكندر لملك شرعي على صيدون وهو ابدالونيم الذي كان نُزع عنهُ حقُّ الملك بكيد الاشرار فتعاطى مهنة الفلاحة — اما الرواية الثانية فتمثّل احد اشراف ايطالية الذي آثر آخرتهُ على دنياه فنبذ الجاه العالمي حبًّا بهِ تعالى. وفي كلتا الروايتين من العواطف الشريفة والشواعر السامية ما يزرع في قلوب الاحداث بذور الفضائل الدينيَّة والمدنيَّة معًا كخدمتهِ تعالى والوفاء للسلطان وايثار العدل والاستقامة مع تنزُّههما عن كل كلمة تثلم الآداب او تخدش الآذان ل. ش

أسئلة وأجوبة

س سئلنا من حمص ١ً لايّ سبب لا يتَّفق يوم البدر المذكور في التكار الروماني مع يوم البدر الحقيقي. ٢ً كيف جرى انَّ الكاثوليك عيَّدوا الفصح هذه السنة مع اليهود والمجمع النيقوي قد حرَّم ذلك

اتّفاق البدر الكنسي والبدر الحقيقيّ — عيد الفصح مع اليهود

ج نجيب على الاوَّل انَّ البدر الكنسيّ يختلف عن البدر الفلكيّ. فانَّ البدر الفلكيّ يبتدئ دائمًا في عهد قران الشمس والبدر اعني عند وقوعهما من جهة الارض فيكونان على طول واحد. اما البدر الكنسي فيبتدئ عند ظهور البدر للعيان وذلك نحو يومين بعد تاريخ البدر الفلكيّ والغاية منهُ تنظيم البدور لانَّ البدر الفلكيّ لا يوافق عددًا تامًّا من الايام — ونجيب على الثاني انَّ المجمع النيقوي حرَّم امرين اوَّلًا « ان يعيَّد الفصح مع اليهود قبل تساوي الليل مع النهار الربيعي » وثانيًا « تعييد الفصح مع اليهود في اليوم الرابع عشر من الشهر في ايّ يوم اتّفق » والكنيسة الغربيَّة تحيدُ عن كلا الامرين اذ تعيد عيد الفصح في الاحد بعد البدر الاوَّل الواقع بعد الاعتدال الربيعي. بخلاف اصحاب التاريخ الشرقيّ الذين يعيّدون في بعض السنين بعد البدر الثاني من الاعتدال الربيعيّ. اما توافق عيد الفصح في بعض السنين مع عيد اليهود فهو امر يجري على الحسابين الشرقيّ والغربيّ وقد شرح سببهُ الاب كولنجت في مقالة مطوَّلة كتبها في المشرق (٣: ٣٢٦ و ٣٤٤) ل. ش